بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده وعلى آله وصحبه ··· أما بعد : فيقول الفقير الى الله أحمد بن حجر « أنه قد ورد الى سؤال من أخ عمانى فاضل يقول فيه : كنت بالامس أطالع فصلا من كتاب (ضحى الاسلام للاستاذ احمد أمين) عن المعتزلة وفلسفتهم الكلامية ومسائلهم الاعتقادية ، ومنها مسألة خلق القرآن ، وفى هذه المسألة استوقفت نظرى العبارة التالية ـ نقلها عن الحنابلة فى (ج٣ص٣٩) وهى (وفريق آخر من بعض الحنابلة زعم أن القرآن بحروفه وأصواته قديم وقد بالغوا فيه حتى قال بعضهم جهلا : الجلد والغلاف قديمان فضلا عن المصحف) ·

وأشار الى أنه نقلها من كتاب المواقف (ج٣ص٧٦) ·

كما أن الرأى نفسه نقل عنهم من كتاب (نهاية الاقدام) للشهرستانى (ص٣١٣) فى عبارة مماثلة فما هو نصيب هذا النقل من الصحة ؟ وماهو موقف الفحول الكبار كشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم من هذا القول ؟

أرجو من فضيلتكم توضيح هذه المسألة من جميع جوانبها واعطائها حقها من البحث والتحليل والتحقيق والله يرشدكم الى الصواب ···

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العالمين والصلاة والسـلام على أفضـل الأنبيـاء والمرسلين وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين ، وعلى الائمة المهتدين اجمعين :

اما بعـد : فقـد كنت اجبت عن هـذا السـؤال الـذى ارسـله أخـونا الفاضـل العمـانى فى عـام ١٣٩١هـ - والآن بـدا لى أن أراجع السؤال والجواب واعيد النظـر فيهما ، وبالفعل قمت بالنظـر فى السـؤال والجواب ، وزدت فى بعض مواضـع الجواب زيادة فى الفائدة للقراء والواقفين على هذا السؤال والجواب - أسـأل الله ان ينفع بهذا الجواب الشـافى ، وان يثيبنى فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سـليم ٠

فاقول وبالله التوفيـق :

قد وقفت على ما ذكـره أحمد امين فى كتابه (ضحى الاسـلام - الجزء الثالث) فاذا هو كما ذكره السائل عنه فقد نقل عن (المواقف) (ونهاية الاقدام) للشهرستانى ما نسباه الى بعض الحنابلة مما هو مذكور فى السؤال بالنص الذى ذكره أحمد امين ، ولكن بالرجوع الى كتاب المواقف لعضد الملة والدين عبد الرحمن بن احمد الايجى ، وجدت عبـارته فى المقصد السـابع فى ان الله متكلم ، قـال « بعد عبـارات سـاقها ، ثم قال الحنابلة » كلامه حرف وصوت ، يقومان بذاته وأنه قديم ، وقد بالغوا فيه حتى قال بعضهم جهلا : الجلد والغلاف قديمان فضلا عن المصحف ٠

فاذا قارنا بين ما نقله أحمد امين عن المواقف وبين عبارة المواقف وجدنا فى العبارة فـرقا لان عبارة احمد امين تقول « وفريق آخر من

بعض الحنابلة زعم ، وعبارة المواقف ، وقال الحنابلة » ولم تقل العبارة ، وفريق آخر من بعض الحنابلة ، ولم تقل زعم بل قالت « قال الحنابلة » وقال ان القرآن بحروفه وأصواته قديم ، والحال ان عبارة المواقف كلامه حرف وصوت يقومان بذاته ، وأنه قديم ، ولم تقل العبارة : القرآن بحروفه واصواته قديم ، ولا شك ان بين العبارتين فرقا ، وبيانه أن قوله : بحروفه ان كان الضمير راجعا للقرآن فهو معقول ، لكن واصواته ، فان كان الضمير للقرآن فهو فاسد ، لأن القرآن لا صوت له وان كان يقصد صوت القارىء فلم تقل الحنابلة بقدمه كما سيأتي وعبارة المواقف ليس فيها اضافة الى الضمير حتى يرد عليها ما يرد على ما نقله احمد امين ، وانما قصد صاحب المواقف ان يقول أن الحنابلة تقول « كلام الله قديم مع كونه بصوت وحرف خلافا للأشاعرة ولا تعطى عبارته صوت القارىء وانه قديم ، وان بعضهم نسب اليهم هذا ٠

فعبارة أحمد امين توحى أن كلام المواقف حول القرآن ، وليس الأمر كذلك ، بل عبارة المواقف عن كلام الله من حيث هو بقطع النظر عن القرآن وغيره ، ومن المقارنة بين العبارتين يتبين بكل وضوح أن أحمد امين لم يتحر الدقة فى النقل ، ولعله نقل بالمعنى وتصرف فيه ، أما قوله : نقلا عن المواقف وقد بالغوا فيه حتى قال بعضهم جهلا : الجلد والغلاف قديمان ، فهذه العبارة نقلها صحيح من المواقف (اما كلمة فضلا عن المصحف) فهذه الكلمة من الشراح وليست من متن المواقف ٠

وها انا أشرع فى الجواب بعون الملك الوهاب ، فاقول ان هذا السؤال يشتمل على مسألتين :

(الاولى) : قوله (وفريق آخر من بعض الحنابلة زعم أن القرآن بحروفه وأصواته قديم) ٠

فيقال فى الجـواب : قوله (بحـروفه) ان كان الضمير راجعـا للقرآن فهو معقول ، لكن (واصواتـه) فان كان الضمير للقرآن فهو فاسـد كما سـبق ، لأن القـرآن لا صوت له ، فماذا يقصد الكاتب او الناقل ، من هذه العبارة ٠

فان كان يقصد صوت البارئ ، فما هنا مرجـع اليه ، والمرجـع هنا هو القرآن ، وان كان يقصد صوت القارئ :

فجوابـه :

لم يقل أحد من الحنابلة ان صوت القارئ قديم ـ كما سيأتى ـ بل اطلاق القديم على كلام الله لم يرد عن السلف ، ولا عن الامام احمد ، ولا محققى الصحابة ٠٠ نعم قد يطلق بعضهم لفظ قديم على كلام الله تجاوزا ويقصد بذلك أنه غير مخلوق كما سيأتى فى كلام ابن قدامـه والسفارينى

وانما يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود٠

(ثانيا) لا مرجع للضمير هنا الا القرآن ـ كما سبق ـ نعم هناك قول لطائفة من اهل الكلام والحديث : أن كلام الله بقطـع النظـر عن القرآن حروف وأصوات ازلية مجتمعة فى الازل ٠

وهذا كما ترى ليس من قول الحنابلة ، وعلى الفـرض ان بعض الحنابلة قال به ، فليس خاصا بالحنابلة ولا بالقرآن ، على أنه غير معقول ولا مؤيد بالدليل ٠

أما المسالة الثانية وهى : (وقد بالغوا فيه حتى قال بعضهم جهلا ـ الجلد والغلاف قديمان فضلا عن المصحف) ٠

واشـار رأحمد امين الى أنه نقلها من كتـاب المواقف ج٣ ، ومن نهاية الاقدام للشهرستانى ٠

افتراء بعض المتكلمين على الحنابلة

فالجواب :

ليست هذه أول فرية افتراها بعض المتكلمين الذين خالفوا مذهب السلف القويم ، وتأثروا بآراء الفلاسفة فزعم بعضهم أن الحنابلة يمثلون الرب بخلقه ، أو يجسمونه ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، ان يقولون الا كذبا) • فقد افترى عليهم سالفا الراضى العباسى وبعض وزرائه والى القارىء البيان :

قال ابن الأثير فى حوادث سنة ٣٢٣هـ•

---

(١) الكهف : ٦

ذكر فتنة الحنابلة ببغداد

وفيها عظم أمـر الحنـابلة وقويت شـوكتهم وصاروا يكبسـون من دور القواد العامة ، وان وجدوا نبيذا أراقوه ، وان وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء واعترضوا فى البيع والشراء ومشى الرجال مع النساء والصبيان ، فاذا رأوا ذلك سألوه عن الذى معه من هو ؟ فان أخبـرهم والا ضربوه وحملوه الى صاحب الشرطة ، الى أن قال فخـرج توقيـع الراضى بما يقرأ على الحنـابلة ينكـر عليهم فعلهم ويوبخهم باعتقـاد التشبيه وغيره ـ ا ه ـ وهنا نسـب اليهم أنهم يشـبهون الله بخلقـه ، وأن هيئتهم على هيئة رب العالميـن وأنهم يطعنـون على خيـار الأئمـة ، وينسبون آل محمد الى الكفر ، وينكرون زيـارة قبـور الأئمة ويقولون بنزول الله فى كل ليلة الى السماء الدنيا (١) .

---

(١) ما نسبه الراضى اليهم وشدد فى الحكم عليهم يحتمل أمرين :
(الاول) : اما أنه كان يعلم أنهم أبرياء من تلك الأمور التى نسبها اليهم ولكن لشـدة تعصبه وعدم عدالته ، ولمسـايرته للجمهور الذى فشى فيهم اذ ذاك مذهب الجهمية والمعتزلة والأشعرية قال ما قال فى حق الحنابلة وبئس ما قال .
=

ويظهر أن صاحب الشرطة أو الوزير نقل الى الخليفـة الراضى العباسى عن الحنابلة ما ليس صحيحا فى نفس الامـر ، ومن أجل ذلك نسب الراضى اليهم ما نسب ، ومن جراء ما شحنوه بالأكاذيب والافتـراءات عليهم قال فى توقيعـه (يعنى منشوره) الذى نشره تحذيرا لهم : وأمير المؤمنين يقسم بالله قسما جهدا اليه يلزم الوفـاء به لئن لم تنتهوا عـن مذموم مذهبكـم ومعوج طريقتكم ليوسعنكم ضربا وتشريداوقتلا وتبديدا

= ولم يصـح ما نسـبه اليهم الا القول بنـزول الله فى كل ليلة الى السماء الدنيا فقط كما ورد فى الحديث الصحيح ·

(الثانى) : انه كان جاهـلا بحقيقة أمـرهم وأن وزيره هو الذى حمله على ذلك كما يقال او صاحب الشرطة وتاثر من كلام أولئك ولم يحقق ، فاصدر ذلك الامر الشديد على الحنابلة وتوعدهم بأن يستعمل السيف فى رقابهم والنار فى منازلهم وليس لهم ذنب يستحقون التوبيخ بالكلام ، فضلا عن قتلهم وحرقهم ، وكل ذنبهم انهم كانـوا يأمـرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويزيلونه بيدهم ان استطاعوا ، وطبعا ان النفوس مجبولة على الشـهوات والملـذات وارتكاب المحرمات ، وأى الأمرين كان فان الراضى قد اخطأ فيما نسـبه الى الحنابلة وكـذب عليهم فلا عبـرة بكلامه ولا وزن لنسبته تلك الافتـراءات الى أولئـك الحنابلة الأجلاء الذين امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وأعلنوا توحيد الاسماء والصفات وتوحيد الالوهية منفردين فى ذلك اليوم عن بقيـة المذاهب التى تفشت فيها مذاهب الجهمية والمعتزلة والجبرية والأشعرية الذين خالفوا امامهم أبا الحسن الأشعرى ·

وليستعملن السيف فى رقابكم والنار فى منازلكم (من الكامل الجزء السادس) ٠

وزعم بعضهم أن شيخ الاسلام ابن تيمية كان يعظ على منبر جامع دمشق ، وقرأ حديث النزول وقال « ينزل كنزولى هذا ـ يقصد أنه مشبه ـ وسيأتى رد هذا الزعم ٠

ان خصوم السلف وهم المعطلة من الجهمية والمعتزلة ، يرمون السلف الذين يثبتون لله الصفات الواردة فى الكتاب وفى صحيح السنة بالتجسيم والتمثيل ، لان هذه الصفات ـ بزعمهم ـ من صفات المخلوقين حتى زعم الشهرستانى ، أن مثبتة الصفات من السلف ، قد آل ببعضهم الاثبات الى التشبيه ٠

وخصصت ذكر الحنابلة ، لأنهم هم أكثر الذين يمثلونَ مذهب السلف ويناضلون عنه سائر الفرق الضالة ٠ أذ الممثل يعبد صنما ، والمعطل يعبد عدما ، والموحد يعبد اله الارض والسماء ٠ وبرأ الله أهل السنة والجماعة والسلف من أنهم يمثلون الله بخلقه أو يشبهونه ٠

والشهرستانى على جلالة قدره فى علم الكلام لم يحقق مذهب السلف ، ولو حقق لعرف أنهم أبرياء مما نسب اليهم ، اذ المعطلة والمشبهة والمجسمة هم من أهل البدع والضلال ، بل قد تؤول عقيدة بعضهم الى الكفر ٠

وهذه النسب الكاذبة الى الحنابلة من دعوى التشبيه والتجسيم حصلت أيام الفتن والنزاع بين الحنابلة والشافعية وبين الحنابلة والحنفية واليك تأييدا لما قلت ما ذكره ابن الأثير فى حوادث ٤٧٥ ٠

ذكر الفتنة ببغداد بيـن الشافعية والحنابلة

ورد الى بغـداد هذه السـنة الشـريف أبـو القاسـم البكرى المغربى الواعظ وكان أشـعرى المذهب ، وكان قد قصد نظام الملك فأحبه ومـال اليه وسـيره الى بغداد وأجـرى عليه الجراية الوافرة فوعظ بالمدرسة النظامية ، وكان يذكـر الحنابلة ويعيبهم ويقول (وما كفر سليمان ولكن الشـياطين كفـروا) والله ما كفـر أحمـد ولكن أصحابه كفـروا ، ثم انه قصد يومـا دار قاضى القضاة أبى عبد الله الدمغانى بنهـر القلائين فجرى بين بعض أصحابه وبين قوم من الحنابلة مشاجرة أدت الى الفتنة وكثر جمعه فكبس دور بنى الفراء وأخذ كتبهم وأخذ منها كتاب الصفات لأبى يعلى فكان يقـرأبين يديه وهـو جالس على الكرسى للوعظ فيشنع به عليهم وجرى له معهم خصومات وفتن ولقب البكرى من الديوان بعـلم السنة ومات ببغداد ودفن عند قبر أبـى الحسن الأشعرى (انتهى من الكامل لابن الاثير الجزء الثانى) .

أقول : لقد ابتلى المسلمون بمثل هؤلاء العلماء كأبى القاسم البكرى السالف الذكر الذين جمدوا على التقليد ونبذوا الأخذ بالدليل وفرقوا من جراء ذلك شمل المسلمين بتعصبهم الممقوت لمذهبهم وعقيدتهم ، وان كان فى نفس الامر فيها وفى المذهب مايخالف الكتاب والسنة الصحيحة ، كاعتقادهم تأويل آيات الصفات جريا وراء مذهب المعتزلة والجهمية ، والتقليد فى الفروع ولو خالف نص الكتاب والسنة فى بعض المسائل والا فلو لم يكن فيهم هذا الداء الوبيل ، داء التأويل والتعطيل والتقليد ماعاب أبو القاسم الحنابلة ولا ذمهم ، فأى عيب فيهم ومذهبهم فى الاصول والفروع معروف ، مذهبهم فى العقيدة هو المذهب الصحيح من الايمان بالله وبأسمائه وصفاته كما جاء فى الكتاب والسنة ايمانا لا يشوبه تعطيل ولا تمثيل وحاشاهم عن التشبيه والتمثيل وكذب أبو القاسم فيما عابه به عليهم وعفا الله عنه .

وقال بعضهم ، ناسبا الى الحنابلة : ان القرآن قديم، وأصوات القراء قديمة، بل والمداد الذى يكتبون بهقديم ، بل زعم بعضهم بقدم الجلد والغلاف ، حتى تهكم بعضهم وقال : مابالهم لا يقولون بقدم الكاتب والمجلد ، الى غير ذلك من

الافتراءات الباطلة ، والاختلاقات الكاذبة التى ما أنزل الله بها من سلطان ٠

وما أدرى كيف يوثق بعلم هؤلاء وبكتبهم وهم يفترون هذه الاكاذيب على جمهور من المسلمين ، وصفوة أمة محمد سيد المرسلين ٠

وكيف ينقل زيد عن عمرو ، وعمرو عن خالد من غير أن يرجع الى كتب من نقل عنهم هذا القول ونسب اليهم ؟ ٠٠ وكيف يكون المرء عالما محققا ، اذا لم يمحص البحث ويحققه من جميع نواحيه ، وينسب الاقوال الى مصادرها الموثوقة ؟ ٠

أما مجرد أن يرى عبارة فى كتاب لعالم يقول فيها قال العالم الفلانى ، أو فى المذهب الفلانى كذا ، بدون ذكر المصدر فينقلها ناسبا اياها الى ذلك العالم أو المذهب ، جازما بصحتها ، فلا يكون محققا ، ولا ينبغى أن يوثق بكلامه أو نقله ، لأنه لم يبنه على دليل صحيح من نقل صحيح أو عقل رجيح ٠

فهؤلاء الذين نسبوا الى الحنابلة هذه الاقوال السخيفة ، التى لا تصدر الا عن ملحد أو مبتدع ضال أرعن يعوزهم اثبات ذلك بنقل صحيح من

مصدر موثوق به وها أنا بعون الله وتوفيقه أبين بطلان هذه النسب الكاذبة التى لم يخش الله ناسبوها ولم يتصفوا بالحياء ولا بالعقل الرجيح ، فأقول وبالله التوفيق :

لا يخفى أن الحنابلة امامهم أحمد بن حنبل، والامام أحمد لم تخف مكانته العلمية ، واتباعه للسنة المطهرة فى عقائده وأقواله وأفعاله ومذهبه ، وله مؤلفات عديدة (١)،ولابنه عبد الله مؤلفات ٠ ، وقد بنى مذهبه فى الاصول أعنى العقائد ـ على الكتاب والسنة الصحيحة ٠

واليك الآن بيان مذهب أحمد وعقيدته وأتباعه فى الاصول والفروع وأن عقيدتهم تمثل مذهب السلف الصالح ، كما أن مذهبهم فى الفروع مؤيد بالكتاب والسنة وبالاجماع والقياس الصحيح ٠

---

(١) وأعظمها كتابه المسند ، ومن مؤلفاته الرد على الجهمية وغير ذلك ٠

(مذهب الامام أحمد وأتباعه فى)
الاصـــول والفـــروع

الامام أحمد بن حنبـــل رحمه الله تعـــالى هو الذى أظهـــر مذهب الســـلف وناضل عنه ، وان كانت الائمة كلهم رحمهم الله على ذلك ـ فالامام أحمد وأتباعـــه تابعون للســـلف الصـــالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين ، لا يؤلون فى صفات الله ولا يشبهون الله بخلقه ، ولا يكيفون بل يقولـــون نؤمن بما ورد ، فالكلام فى الصـــفات فرع عن الـــكلام فى الذات فكما أن ذاته المقدسة لا تشبه ذوات المخلوقيـــن فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين ، فيقولون لله علم يليق بـــه ، وللمخلوقين علـــم يليق بهم ، وليس علم الله كعلم المخلوق ، ولله سمع ، يليق به وللمخلوقيـــن ســـمع يليق ، وليس ســـمع الله كسمع المخلوق وهكذا سائر الصفات ٠ (١)

---

(١) أعلم أن المعطلة من الجهمية والمعتزلة وأضرابهم ، اعتمدوا فى نفى مشابهة الله لخلقه على النفى المجرد ، زاعمين بهذا النفى تنزيـــه الله عن مماثلة المخلوق ، وبنـــاء على ذلك نفـــوا عنه العلم والســـمع والبصر والقدرة والكلام ، والاستواء والرؤية وما الى ذلك مما ورد =

ومن صفاته الكلام ، فيقولون : كلام الله لا يشبه كلام المخلوق وكلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ٠

ومن المستحسن أن أذكر مذهب الامام أحمد وأتباعه فى الاصول ، أعنى العقائد باختصار :

وذلك أنهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، فيشهدون أن

= فى الكتاب المجيد والسنةالصحيحة منصفاته قائلين أن هذهالصفات هى للمخلوق ، فاذا أثبتناها للخالق ـ جل وعلا ـ فقد شبهناه بالمخلوق وهذه طريقة باطلة ، مآلها نفى الخالق ـ جل جلاله ـ اذ لا يعقل ذات مجردة من الصفات الا فى أذهان أولئك الضالين المضلين ، وليس كل ما يفرضه الذهن يكون له وجود فى الخارج ، وانما الطريقة الصحيحة اثبات حقائق أسماء الله وصفاته ونفى مماثلته لشىء من مخلوقاته ، وكونه يتفق مع المخلوق فى الاسم وفى المعنى الكلى المشترك لا يلزم منه مماثلته لخلقه، فانه مامن موجودين الا وبينهما تشابه منوجه واختلاف من وجه آخر ، ألا ترى اذا قيل بين الانسان والفرس تشابه من جهة أن هذا حيوان وهذا حيوان ، واختلاف من جهة أن هذا ناطق وهذا صاهل ، وغير ذلك من الامور كان ذلك صحيحا ، فاذا قيل عن الله أنه موجود حى عليم قدير سميع بصير ، والمخلوق يوصف بهذه الصفات فقد اتفقا فى المعنى العام وهو القدر المشترك ، توضيحه مدلول الوجود ضد العدم ، والموجود ضد المعدوم ، ومعنى الحى ضد الميت ، والحياة ضد الموت ، ومدلول العليم ضد الجاهل ، والعلم ضد الجهل ، فقد اتفقا فى مدلول الاسم ومدلول الصفة ، وذلك هو القدر المشترك وهو معنى عام كلى يوجد فى الأذهان لا فى الاعيان ، والموجود فى الأعيان مختص ولذلك لم يوجب أن يشترك المحدث الممكن وهو المخلوق مع الواجب الأزلى وهو سبحانه فيما هو من خصائص أحدهما ، بل ما أضيف الى واحد منهما فهو مختص به وهو على ما يليق له ٠

الله هو الــرب الاله المعبود ، المنفرد بــكل كمال فيعبدونه وحده مخلصين له الدين ٠

فيقولون أن الله هو الخــالق البارىء المصور الرزاق المعطى المانع المدبر لجميع الامور ٠

وانه المألوه المعبود الموحــد المقصود ، وأنه الاول الذى ليس قبلــه شىء والآخــر الذى ليس بعده شىء الظاهر الذى ليس فوقه شىء الباطن الذى ليس دونه شىء ٠

وأنه العلى الأعلى بكل معنى واعتبار ، علو الذات وعلو القدر ، وعلو القهر ٠

وأنه على العــرش اســتوى اســتواء يليــق بعظمته وجلاله ، ومــع علوه المطلق وفوقيتــه ، فعلمه محيط بالظواهر والبواطن والعالم العلوى والسفلى ، وهو مع العبــاد بعلمه ، يعلم جميــع أحوالهم ، وهو القريب المجيب ٠

وأنه الغنى بذاته عن جميع مخلوقاته ، والكل اليه مفتقرون فى ايجادهم وايجاد مايحتاجــون اليه فى جميع الأوقات ، ولا غنى لاحد عنه طرفة عين وهو الرؤوف الرحيم ، الذى مابالعباد من نعمة دينية ولا دنيوية ولا دفع نقمة الامــن الله ، فهو الجالب للنعم الدافع للنقم ٠

ويصفونه بمـا وصف به نفسه ووصـفه به ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ من الصفات الذاتية ، كالحياة الكاملـة والسمع والبصـر ، وكمال القدرة والعظمة والكبرياء والمجد والجلال والجمال ، والحمد المطلق ، ومن صفات الأفعال المتعلقة بمشـيئته وقدرته كالرحمة والرضـا ، والسخط ، وأنه يتكلم بما يشاء وكيف يشـاء ، وكلماته لا تنفد ولا تبيد .

وأن القرآن كـلام الله غير مخلـوق ، منه بدأ واليه يعود .

وأنه لم يزل ولا يزال موصوفا بأنه يفعل مـا يريد ، ويتكلم بمـا شـاء ، ويحكم على عبـاده بأحكامه القدرية ، وأحكامه الشرعيـة وأحكامه الجزائية ، فهو الحاكم المالك ، ومن سواه مملوك محكوم عليه ، فلا خروج للعباد عن ملكه ولا عن حكمـه .

ويؤمنون بما جـاء به الـكتاب وتواترت بـه السنة ، ان المـؤمنين يرون ربهم تعـالى عيـانا جهرة ، وأن نعيم رؤيته والفوز برضـواته أكبر النعيم واللذة .

وأن من مات على غير الايمان والتوحيد فهو مخلد فى نار جهنم أبدا ، وأن أرباب الكبائر اذا ماتوا على غير توبة ولا حصل لهم مكفر لذنوبهم ولا شفاعة ، فانهم وان دخلوا النـار لا يخلدون فيها ، ولا يبقى فى النار ، أحد فى قلبه مثقال حبه خردل من ايمان الاخرج منها .

وأن الايمان يشمل عقائد القلوب وأعمالها ، وأعمال الجوارح وأقوال اللسان ، فمن قام بها على الوجه الأكمل ، فهو المؤمن حقا ، الذى استحق الثواب وسلم من العقاب ، ومن انتقص منها شيئا نقص من ايمانه بقدر ذلك ، ولذلك كان الايمان يزيد بالطاعة وفعل الخير ، وينقص بالمعصية والشر .

ويشهدون أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وهو خاتم النبيين ، أرسل الى الانس والجن بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، أرسله بصلاح الدين وصلاح الدنيا ، وليقوم الخلق بعبادة الله ويستعينوا برزقه على ذلك .

ويعلمون أنه أعلم الخلق وأصدقهم وأنصحهم وأعظمهم بيانا ، فيعظمونه ، ويقدمون محبته

على محبة الخلق كلهم ويتبعونه فى أصول دينهم وفروعه ·

ويقدمون قوله وهديه على قول كل أحد وهديه ·

ويعتقدون أن الله جمع له من الفضائل والخصائص والكمالات مالم يجمعه لأحد ، فهو أعلى الخلق مقاما وأعظمهم جاها ، وأكملهم فى كل فضيلة ، لم يبق خير الا دل أمته عليه ، ولا شر الا حذرهم عنه ·

وكذلك يؤمنون بكل كتاب أنزله الله ، وكل رسول أرسله الله ، لا يفرقون بين أحد من رسله ويؤمنون بالملائكة وأنهم عباد الله المكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ·

ويؤمنون بالقدر كله ، وأن جميع أعمال العباد خيرها وشرها ، قد أحاط بها علم الله ، وجرى بها قلمه ، ونفذت فيها مشيئته ، وتعلقت بها حكمته ، حيث خلق للعباد قدرة وارادة ، تقع بها أقوالهم وأفعالهم حسب مشيئتهم ، لم يجبرهم على شىء منها بل جعلهم مختارين لها ، وخص المؤمنين بأن حبب اليهم الايمان وزينه فى قلوبهم ، وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان بعدله وحكمته ·

ويؤمنون بيوم البعث واحياء الله الموتى للحساب والجزاء ، ويؤمنون بالشفاعة العظمى للرسول صلى الله عليه وسلم،وسائر الشفاعات الثابتة · وبالصراط والميزان والجنة والنار ، كما جاء فى القرآن وصحت الاحاديث عن النبى المختار ·

ويؤمنون بأن أفضل الامم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ـ وأفضلهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خصوصا الخلفاء الراشدين ، والعشرة المشهود لهم بالجنة وأهل بدر ، وبيعة الرضوان والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار ·

ويحبون الصحابة ويدينون الله به وينشرون محاسنهم ويسكتون عما شجر بينهم ، ويدينون الله باحترام العلماء الهداة وأئمة العدل ، ومن لهم المقامات العالية فى الدين والفضل المتنوع على المسلمين ، ويسألون الله أن يعيذهم من الشك والشرك والشقاق والنفاق وسوء الاخلاق، وأن يثبتهم على دين نبيهم الى الممات·

هذه الاصول الكلية بها يؤمنون ولها يعتقدون واليها يدعون · (من القول السديد لعلامة القصيم عبد الرحمن بن ناصر السعدى ـ من

أكابر علماء نجد رحمــه الله تعالى ـ بحذف فى بعض المواضيع وزيادة فى بعضها) .

الاصول التى بنيت عليها فتــاوى الامام أحمد

واذ بينت عقيدة الامام أحمد وأتباعــه ، فمن المستحسن جدا أن أذكر أصول مذهبه فى الفروع وفتاويه وهاك أيها القارىء تلك الأصول نقلا عن العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

بنيت على خمس أصول وهى كما يلى :

الأصل الاول : ـ (النصوص)

النصوص ، فاذا وجد النص أفتى بموجبه ولم يلتفت الى ما خالفه ولا من خالفه كائنا من كان ، كما لم يلتفت الى قول على وعثمان وطلحة وأبى بن كعب من ترك الغسل من الاكسال (١) لصحة حديث عائشة أنها فعلته هى ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاغتسلا ، ولم يلتفت الى قول ابن عباس واحدى الروايتين عن على أن عــدة المتوفى عنها الحامــل أقصى الأجلين ، لصحــة حديث ســبيعة الأسلمية .

وهذا كثيــر جدا ، ولم يكن يقدم على الحديث عملا ولا رأيا ولا قياسا ولا قول صاحب ولا عدم

---

(١) اكسل الرجل : اذا جامع ولم ينزل .

علمه بالمخالف ، الذى يسميه كثير من الناس اجماعا ويقدمونه على الحديث الصحيح ، وقد كذب أحمد من ادعى هذا الاجماع ٠

ونصوص رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل عند الامام أحمد وسائر أئمة الحديث من أن يقدموا عليها توهم اجماع مضمونه عدم العلم بالمخالف ، ولو ساغ لتعطلت النصوص ، وساغ لكل من لم يعلم مخالفا فى حكم مسألة أن يقدم جهله بالمخالف على النصوص ، فهذا هو الذى أنكره الامام أحمد والشافعى من دعوى الاجماع لا ما يظنه بعض الناس أنه استبعاد لوجوده ٠

الاصل الثانى : ـ (فتاوى الصحابة)

الاصل الثانى من أصول فتاوى الامام أحمد ما أفتى به الصحابة ، فأنه اذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها لم يعدها الى غيرها ، ولم يقل أن ذلك اجماع بل من ورعه فى العبارة ، يقول « لا أعلم شيئا يدفعه أو نحو هذا ، كما قال فى رواية أبى طالب لا أعلم شيئا يدفع قول ابن عباس وابن عمر وأحد عشر من التابعين منهم عطاء ومجاهد وأهل المدينة على تسرى العبد ، وهكذا قال أنس بن مالك « لا أعلم أحدا رد شهادة العبد ، حكاه عن

الامام أحمد ، واذا وجد الامام أحمد هذا النوع عن الصحابة ، لم يقدم عليه عملا ، ولا رأيا ولا قياسا ٠

الاصل الثالث : ـ (الاختيار من أقوال الصحابة اذا اختلفوا)

الأصل الثالث من أصوله : اذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها الى الكتاب والسنة ، ولم يخرج عن أقوالهم ، فان لم يتبين له موافقة أحد الاقوال حكى الخلاف فيها ولم يجزم بقول ٠

قال اسحق بن ابراهيم بن هانىء فى مسائله قيل لأبى عبد الله : يكون الرجل فى قومه فيسأل عن الشىء فيه اختلاف ، قال « يفتى بما وافق الكتاب والسنة ، وما لم يوافق الكتاب والسنة أمسك عنه ، قيل له : أفيجيب عليه ؟ قال : لا .

الاصل الرابع : ـ (الحديث المرسل)

الأصل الرابع : الاخذ بالمرسل والحديث الضعيف ، اذا لم يكن فى الباب شىء يدفعه ، وهو الذى رجحه على القياس ، وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر ولا ما فى روايته متهم بحيث لا يسوغ الذهاب اليه،فالعمل به ، بل الحديث الضعيف عنده قسيم الصحيح

وقسم من أقسام الحسن ، ولم يكن يقسم الحديث الى صحيح وحسن وضعيف ، بل الى صحيح وضعيف ، وللضعيف عنده مراتب ، فاذا لم يجد فى الباب أثرا يدفعه ولا قول صاحب ، ولا اجماعا على خلافه ، كان العمل به عنده أولى من القياس ٠

الاصل الخامس : ـ (القياس للضرورة)

فاذا لم يكن عند الامام أحمد فى المسألة نص ولا قول للصحابة أو واحد منهم ولا أثر مرسل أو ضعيف عدل الى الأصل الخامس ـ وهو القياس ـ فاستعمله للضرورة ، وقد قال فى كتاب الخلال : سألت الشافعى عن القياس ، فقال انما يصار اليه عند الضرورة ، أو ما هذا معناه ٠

فهذه الأصول الخمسة من أصول فتاويه ، وعليه مدارها ، وقد يتوقف فى الفتوى لتعارض الادلة عنده أو لاختلاف الصحابة فيها ، أو لعدم اطلاعه فيها على أثر أو قول أحد من الصحابة والتابعين ٠

وكان شديد الكراهية والمنع للافتاء بمسألة ليس فيها عن السلف ، كما قال لبعض أصحابه : اياك أن تتكلم فى مسألة ليس لك فيها امام ١٠٥هـ

(من اعلام الموقعين ـ الجزء الاول باختصار من الأصل الاول) ٠

فهل فى هذه الأصـــول الخمســـة لمن تحـــلى بالانصاف قول لقائل أو نقد لناقد ، ولا شــك أن الحنابلة هم أتباع هذا الامام الجليـــل الذى قال فيه بعض أهل العلم : تأيد الدين برجلين بأبى بكر يوم الردة وأحمد بن حنبل (١) يوم المحنة ، يقصد

---

(١) ولد الامام أحمد بن حنبل ببغداد ســنة ١٦٤هـ ـ وتوفى ســنة ٢٤١هـ ـ مدة عمره سبع وسبعون سنة وفى سنة ٢١٢هـ أعلن المأمــون بن هارون الرشيد القول بخلق القرآن ، ولكن عندما شعر بأن الناس غاضبون وساخطون عليه ، سكت مدة ست سنوات ، وفى سنة ٢١٨هـ عاد الى القول بخلق القرآن ، وكتب الى نائبه على الشـرطة ببغداد اسحاق بن ابراهيم فى أمر الامتحان ، وسيق الامام أحمد ومحمد بن نوح والحسين بن حماد المعـروف بسجاده ، وحسين القواريرى من بغــداد الى طرسوس مقيدين ، وفى أثناء الطـريق مات المــأمون ، فردوا الى بغداد وأوصى بالخلافة للمعتصم ، وكان دور المعتصم فى القول بخلق القرآن اشد واخبث ، ولما صمد الامــام أحمد ولم يجب على ما أراده المأمون أولا والمعتصم ثانيا ، أمر المعتصم بأن يضرب أحمد بالسياط ، فضرب ثمان وثلاثين سوطا ، وظنوا أنه قد مات من شدة الضرب ، ثم أفرج عنه ٠

لقد مكث أحمد فى السجن منذ أخذ وحمل الى أن ضرب وخلى عنه ثمانية وعشــرين شــهرا ، ثم ان المعتصم مــات وأوصى لابنه الواثق ، فجاء الواثق أشد وطأة على الامة وبلاء على الائمة ، وأخيرا رجع الواثق عن المحنة وتاب عن تلك البدعة الضالة ، ولكن الامام لم يزل متواريا الى أن مات الواثق بعد أن دامت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما ، فتولى بعد الواثق المتوكل فرفــع المحنة من جميع البلدان ، وكان ذلك فى سنة ٢٣٤هـ ـ وأمر المتوكل =

بذلـــك يـــوم أن امتحنـــه بذلـك المـأمون والمعتصم والواثق بالسجن والضرب حتى يقول أن القـرآن مخلوق فامتنـع وصـبر على الأذى واحتسب الأجر عند الله ·

فهـل وقـف القـــارىء عـلى عقيـــدة الامام أو أحد من أتبـاعه وخصـــوصا فيمـا يوهم التشبيه والتجسيم كما يقول المفتـرون ، وفى كلام الله ما زعمه الزاعمون من أن الجـلد والمداد قديمان ، كل ما قالوا أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ، وسيأتى فيما بعد رد هذه الفرية من كلام شيخ الاسلام والحافظ ابن القيم رحمهما الله وغيرهما ·

وها أنا أتحدى هؤلاء الزاعمين المفترين ــ أن الحنابلة يمثلـون الله بخلقـه أو يجســمونه أو

= أهل السنة أن يردوا على المعتزلة فى قولهم وأن يسدوا عليهم كل باب فتحوه للفتنة ، فعاد الفقهاء والمحدثون ، الى نشاطهم وأكـرم الامام أحمد ، وخذل الله المعتزلة وأصبحوا محل السـخط والغضب للخليفة المتوكل ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك ، ورفـع الله مقام أهل السنة ولاسيما الامام أحمد بن حنبل ·

ورحم الله من قال :

أضحى ابن حنبـل حجـة مبـرورة
ويحب أحمد يعـرف المتنســـك

فاذا رأيت لأحمد متنقصـــــا
فاعـلم بـأن ســـتوره ســـتهتك

يشبهونه أو يقولون فى القرآن مـا زعموا ـ أن يأتوا بكلمة واحدة من كتب الامام أحمد أو كتب أصحابه المحققين يثبت ذلك ، والا فلينادوا على أنفسهم بالجهل والافتراء ٠

ويعلم الواقفـون على كلامهـم أن لا نصيب لكلامهم من الصحة وأن علومهم هباء فى هباء ، وقولهم كذب وافتراء،اذ لم يسندوها الى المصادر المعتبـرة من كتب أولئـك العلمـاء ٠ فوالله لو اسـتعانوا بالجـن والانس ، وصـعدوا الى المريخ ونزلـوا الى أعماق الارضين ، لما أتـوا بحـرف واحد يـدل على زعمهم وافترائهـم ٠

وها أنذا أوضح هذا المرام فيما يلى :

(تقسيم المتكلمين الى ثلاثة أقسام بالنسبة) للصفات ونفيها

(أولا) المتكلمــون فى العقائــد ، وســموا بالمتكلمين ، لكثرة كلامهم حول كلام الله ، وحول صفات الله ، قد انقسموا الى فرق ·

(١) منهــم من لم يثبت لله صــفة ولا اســما كالجهمية ·

(٢) ومنهم من أثبت له الاسماء دون الصفات وهم المعتزلة ، وقالوا عليم بلا علم ، ســميع بلا سمع ، بصير بلا بصر ونفوا الكلام لله ، وقالوا بل يخلق الله الكلام منفصــلا عنه ، كما ســيأتى بيــانه ·

(٣) ومنهم من أثبت لله الاســماء وصــفات المعانى فقط ، وهى سبعة : الحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة والارادة والكلام ، ومشتقاتها وهى الاسماء ـ أعنى ـ كونه حيا عليما سميعا بصيرا متكلما ···· الخ ·

ونفوا بعد ذلك الصفات الخبرية الواردة فى الكتاب والســنة كالاســتواء واليد ونحو ذلك ، وهؤلاء هم أكثر الأشاعرة والماتريدية ·

والسلف الصالح والذى أظهر مذهبهم وناضل عنه الامام أحمد ، يثبتون لله ما جاء فى القرآن وصح فى الحديث ، من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تشبيه ، فيقولون :

الكلام فى الصفات فرع عن الكلام فى الذات فكما أن ذاته المقدسة لا تشبه ذوات المخلوقين ، فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين • فقالوا لله علم يليق به ، وللمخلوق علم يليق به ، وليس علم الله كعلم المخلوق ، واشتراك شيئين فى لفظ لا يوجب اتحادهما فى الحقيقة •

فالعرش موجود ، والبعوض موجود ، فهل وجود العرش كوجود البعوض ؟ • واذا كان الجواب بالسلب ، فالله موجود ، والمخلوق موجود فهل وجود الله كوجود المخلوق ؟ لا يقول هذا من يفهم ما يقول ، لأنه يقال لهم ان كان وجود الله كوجود المخلوق ، فهذا هو التشبيه بعينه • وان كان له وجود خاص أبدى يليق به لم يزل ولا يزال • وللمخلوق وجود يليق به ، فكذلك يقال : لله صفات تليق به ، وللمخلوق صفات تليق به •

فاذا أثبتنا لله صفة تليق به ، كصفة العلم والارادة أو الاستواء مثلا ، وقلنا للمخلوق علم وارادة واستواء فليس معنى هذا أن ارادة الله

كارادة المخلوق ، أو أن علمه تعالى كعلم المخلوق أو أن استواءه ـ سبحانه ـ كاستواء المخلوق ، وذلك أن علم الله شامل للجزئيات وللكليات ، ولما كان ولما يكون ، لا يخفى عليه شيء في الارض ، ولا في السماء ، فهل للمخلوقين مثل هذا العلم ؟!!

وارادة الله تخصص ما يريد ، من الممكنات ، من العدم الى الوجود ، ومن الوجود الى العدم ، وما يريده بارادته الكونية لاراد لها ، وقدرته شاملة لكل ما يريد ، ليست محدودة وكذلك ارادته ، فهل للمخلوق مثل تلك الارادة أو القدرة ؟(١)٠٠وهكذا القول في سائر الصفات٠

لكن تنسب مقالة تشبيه الله بخلقه الى هشام ابن الحكم ، وداود الجواربى ، وهما من غلاة الروافض ، والى محمد بن كرام كما حكاه

---

(١) القدرة والارادة تتعلقان بالممكن لا بالمستحيل ، كالشريك والولد كما قال بعضهم :

وقدرة ارادة تعلقا — بكل ممكن بدا لا مطلقا

لما احتدم الجدال بين الحنابلة وبين المتكلمين في العصور الماضية ، واصر الحنابلة على عقائدهم واصر المتكلمون على خرافاتهم وأهوائهم ، أخذ بعض المتكلمين يهاجم الحنابلة ويلزمهم الزامات ، وينسب اليهم اقاويل وعقائد لا يقولون بها ٠

مثلا ـ قالوا : اذا قلتم بأن الله على عرشه علا ، فيلزم أن يكون جسما له حيز ومكان ، تعالى الله عن ذلك ٠

الشهرستانى وغيره بأنهم شبهوا الله بخلقه ، حتى قال شيخنا الشيخ أحمد نور فى منظومته ٠

فأثبتوا لذاته الجوارحا
مما عدا الفروج والقبائحا

لكن فى نفس الوقت قال بعضهم : جسم لا كالأجسام ، ولم نقف على كتبهم ، ونقل أهل الكلام يحتمل الصدق وضده ، ولا أظن للمجسمة أو للمشبهة وجودا فى هذا العصر ، ولعلهم قد انقرضوا من قرون ٠

وقال بعض الكلاميين : ان أولئك الذين عبروا بقولهم (جسما لا كالأجسام) ٠

معنى قولهم جسما ، أى قائم بنفسه لا بغيره ، لأن الموجودات اما جسم ، وهو الجوهر عند المناطقة وهو القائم بنفسه ـ أو عرض قائم بغيره ، والله ليس بعرض ، فزعموا أنه جسم قائم بنفسه ، وأخطأوا وضلوا حيث أطلقوا على الله الجسمية ، وتعالى الله عن ذلك لانه لم يرد فى القرآن ولا فى السنة اطلاق الجسم على الله ٠

ومن المسلم به والمعروف بالبداهة والعقل السليم ، أن الخالق لا يكون مماثلا للمخلوق ، فالمشبه يعبد صنما والمعطل يعبد عدما ، والموحد يعبد اله الأرض والسماء ٠

ويرحم الله ابن القيم حيث قال :

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا
ان لمشبه عابد الأوثان
كلا ولا نخليه عن أوصافه
ان المعطل عابد البهتان
من شبه الله العظيم بخلقه
فهو النسيب لمشرك نصرانى
أو عطل الرحمن عن أوصافة
فهو الكفور وليس ذا ايمان

(الزام المتكلمين لأهل السنة فى قولهم بأن الله على عرشه استوى يلزم منه التجسيم والتشبيه ورد الحنابلة عليهم والزامهم بمالا مفر منه)

فقالت الحنابلة ، (أولا) معاذ الله أن نقول بالجسمية ، أو أن نشبهه بخلقه ، أو أن نقول يحويه عرش أو مكان ٠

ولكن نقول : استوى على عرشه كما يليق بجلاله ، وأنتم اذا نفيتم أن يكون الله عاليا على خلقه ، بل انكم صرحتم بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ، ولا فوق ولا تحت ، ولا يمين ولا شمال يلزمكم أن يكون معدوما لأن هذه صفات المعدوم وبهذا خالفتم صريح الكتاب والسنة ، وعقائد الصحابة والتابعين وجميع المسلمين بل والكتابيين ٠

(ثانيا) : هذا الالزام ليس بلازم لنا ، لأن لازم المذهب ليس بلازم ، فان كان الزامكم لازما لنا ، فكذلك الزامنا لكم ولا محيص لكم ٠

(ثالثا) : هذا الالزام ، أو نقول هذه الشبهة لاترد على الله من حيث هو مستو على العرش ، ومن حيث هو فى السماء ، بل هى واردة عليه ،

من حيث هو موجـود ولا شـك • كأن يقال : الله موجود ، والموجود امـا أن يكون جسـما قائما بنفسه ، أو عرضا قائما بغيره ، ولا ثالث لهذين الأمرين ، اذ الموجودات كلها كذلك •

والله موجود ، فاما أن يكون جسما ، واما أن يكون عرضا ، وباطل أن يكون عرضا ، فلم يبق الا أن يكون جسما فهو جسم اذن ، سواء أقيل أنه فى السماء أم لا فى السماء ولا فى غيرها •

فلا ضرر اذا من القول بأنه فى السـماء ، أو بأنه مستو على العرش ، لأنه لا يلزم هذا معنـى فاسد من حيث الصفة •

وحينئذ يقال : ان أمكن أن يكون ثم موجـود ليس جسـما ، أمـكن أن يكـون ثم موجـود فى السماء •

أو نقول فوق العرش وليس جسما بالضرورة وتعالى الله عن الجسمية والتشبيه (ليس كمثله شىء وهو السميع البصـير) •

(تفرق المسلمين ورمى بعضهم بعضا بالتفسق أو التكفير لتركهم الاستدلال بالكتاب والسنة ورجوعهم الى القواعد الفلسفية والمنطقية)

من المحن التى ابتلى بها المسلمون ، النزاع والجدل ، التفرق والاختلاف ، ورمى بعضهم بعضا بالتفسيق تارة ، وبالتكفير أخرى ، وذلك لأن أكثرهم ترك الاستدلال بالكتاب والسنة ، ورجعوا الى القواعد المنطقية والفلسفية ، فآل بهم الأمر الى ماآل ٠

والا لورجعوا الى كتاب الله وسنة نبيه وقالوا كلنا متفقون على أن الله ربنا وخالقنا ومعبودنا ، لا شبيه له ، ولا نظير له ولا مثيل له (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) ٠

وعلينا أن نتبع القرآن والسنة الصحيحة ، فما ورد فى القرآن وفى السنة الصحيحة من صفات الله نؤمن به ٠ ولا نكيف ولا نشبه ولا نمثل ، ومالم يرد لا نخوض فيه ٠

مثلا : ورد أن الله له علم وسمع وبصر وقدرة وارادة ، فنقول : هذه صفات نؤمن بها ، أما كونها هى عين الذات ، أو غير عين الذات ـ كما يقول المتكلمون ـ ويطيلون الأبحاث والنقاش والجدل حولها ، فهذا من فضول الكلام ، ولسنا بمكلفين عن ذلك ·

لو مشوا على هذا الصراط المستقيم ، لما حصل ما حصل من التفرق والانقسام ، وما نتج عنهما من هذه النسب الكاذبة ، والالزامات الباطلة ·

(رابعا) : هذه كتب الحنابلة طبعت فى هذا العصر أكثر من قبل ، وسارت بها الركبان شرقا وغربا فهل فى امكان أحد أن يأتى بحرف مما يؤيد تلك المزاعم الضالة ؟

وعلى سبيل المثال والتوضيح والبيان أورد للقارىء ما يلى :

(افتراء الكثيرين على شيخ الاسلام ابن تيمية اعتمادا على رحلة ابن بطوطة فى تشبيه نزول الله بنزول خلقه ، ودحض ذلك الافتراء من كتاب شرح النزول ومن الوجهة التاريخية ومن المعقـــول)

هذا شيخ الاسلام أحمد بن تميمة الحرانى ، قد نسب اليه كثيــر من أتبــاع المذاهــب غيــر الحنابلة ، فضلا عن أهل الأهواء والضــلال ، أنه يقول بالتجسيم والتشبيه ، ويؤيدون زعمهم بما وجدوه فى رحــلة ابن بطوطــة من أنــه قرأ حديث النزول ونزل من على المنبر وقال : ينزل كنزولى هــذا ٠

فاسمع الجواب مما كتبته فى كتابى (العقائد السلفية بأدلتها العقلية والنقلية) ص : (٧٤) ٠

من الجهل الفاضح أو التجاهل والعصــــبية العميــاء ، ما نســبه كثيــر ممن أدعى العلم أن شــيخ الاســـلام ابن تيمية كان يقــرر حديث النزول فى المسجد الأموى ، وأنه قال (ينــزل ربنا كنزولى هذا) ونزل من على منبر الجامــع درجة ، يريدون بذلك أنه مشبه مجسم ، وأخــذ يروى المتأخر عن الســلف هذه الاكذوبــة التى منشؤها ابن بطوطة فى رحلته ٠

فيا سبحان الله ، ما أعظم جهل هؤلاء ٠٠ ؟ هلا قرأوا مؤلفات شيخ الاسلام ليروا كيف يرد على هؤلاء المشبهة والمجسمة ، كما يرد على الجهمية والمعتزلة وغيرهم ٠

بل ألف شيخ الاسلام شرحا لحديث النزول ليس فيه أدنى رائحة من التشبيه والتجسيم ، بل يقرر فى شرحه فى عدة مواضـــع تنزيه الله (١) عن التمثيل ، والشرح مطبوع عدة مرات متداول

---

(١) بعد أن ذكر شيخ الاسلام حديث النزول وأنه اشتملت عليه كتب الاســلام كصحيحى البخارى ومســلم ، وموطأ مالك ومســند الامام أحمد ، وسنن أبى داود والترمذى والنسائى ، وأمثال ذلك من كتب العلماء المسلمين أهل الحديث ٠

قال : واتفق ســلف الأمة وأئمتها وأهــل العلم بالســنة والحديث ، على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول ، ولكن من فهم من هذا الحديث وأمثاله ما يجب تنزيه الله عنه ، كتمثيله بصفات المخلوقين ، ووصفه بالنقص المنافى لكماله الذى يستحقه ، فقد أخطأ فى ذلك ، وان أظهر ذلك منع منه ، وان زعم أن الحديث يدل على ذلك ويقتضيه فقد أخطأ أيضا فى ذلك ٠ ا ــ هـ ٠

فان وصــفه ــ ســبحانه ــ فى هذا الحديث بالنــزول ، هو كوصــفه بســائر الصفات مما يزهق باطــل هؤلاء المفترين ويصــفع وجوههم ويجعلهم أضحوكــة بين العالميــن ، حيث يحســبون أنفســهم علماء ويؤلفون وينشرون بين الناس هذه الأكاذيب والترهات المفسدة ، مما فيه افســاد لعقائــد المســلمين وســوء ظن بالعلماء المجاهدين الذين جاهدوا لله وفى الله ، باللسان والسنان ، وأفنوا حياتهم فى خدمة الشرع الشريف كشيخ الاسلام أحمد بن تيمية وأضرابه رحمهم الله٠

ثم ذكر الشيخ جملة من الصفات ٠٠ الى أن قال : وكذلك وصف نفسه بالعلم والقوة والرحمة ونحو ذلك ، كما فى قوله تعالى (ولا =

بين الناس ، فمن يشك فيما أقول فليقرأه ولو مرة واحدة ، بل ليقرأ صفحات منه ليعلم كذب أولئك القوم ومبلغ تعصبهم ·

فما أدرى ما قيمة العالم اذا كان كذابا مفتريا قال تعالى : (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون(١)) ·

= يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء (٢)وقوله (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (٣) وقوله (ورحمتى وسمعت كل شىء) (٤) ونحو ذلك مما وصف به نفسه فى كتابه ، وما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلم ـ فان القول فى جميع ذلك من جنس واحد ·

ومذهب سلف الأمة وأئمتها ، أنهم يصفونه بما وصف نفسه ووصفه به رسوله فى النفى والاثبات ، والله قد نفى عن نفسه مماثلة المخلوقين ، فقال (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) (٥) وقال (هل تعلم له سميا) (٦) وقال (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) (٧) ·

ثم أطنب الشيخ ـ كعادته ـ الى أن قال : ـ فاذا قيل علم الله ، وكلام الله ، ونزوله ، واستواؤه ، ووجوده ، وحياته ونحو ذلك · لم يدل ذلك على ما يشركه فيه أحد من المخلوقين ، ولم يدل ذلك على مماثلة الغير له فى ذلك ، كما دل فى زيد وعمرو ، لأن هناك علمنا التماثل من جهة الاعتبار والقياس ، لكون زيد مثل عمرو ·

وهنا نعلم أن الله لا مثل له ولا كفء ولا ندا ، فلا يجوز أن نفهم من ذلك أن علمه مثل علم غيره ، ولا كلامه مثل كلام غيره ، ولا استواؤه مثل استواء غيره ، ولا نزوله مثل نزول غيره ، ولا حياته مثل حياة غيره · (١ · هـ ملخصا من ص ٥ ـ ١٠ ـ شرح حديث النزول · منشورات المكتب الاسلامى) ·

(١) النحل ـ ١٠٥) ·
(٢) البقرة ـ ٢٥٥) ·
(٣) الذاريات ـ ٥٨) ·
(٤) الاعراف ـ ١٥٦) ·
(٥) الاخلاص) ·
(٦) مريم ـ ٦٥) ·
(٧) الشورى ـ ١١) ·

وأما تمسكهم بما قاله ابن بطوطة ، فالجواب : يحتمل أن الشيخ ابن تيمية قال : (ينزل ربنا لا كنزولي هذا) فلم يسمع ابن بطوطة كلمة (لا) أو سمعها وكتبها ، ولكن حرفها النساخ ٠

هذا اذا اسلمنا أن ابن بطوطة رأى شيخ الاسلام ، ولكن قال المحقق بهجت البيطار في كتابه (حياة شيخ الاسلام : ٠٠٠ ان ابن بطوطة لم يسمع من ابن تيمية ، ولم يجتمع به ، اذ كان وصوله الى دمشق يوم الخميس التاسع من رمضان عام ست وعشرين وسبعمائة هجرية ٠

وكان سجن شيخ الاسلام في قلعة دمشق أوائل شهر شعبان من ذلك العام ، الى أن توفاه الله ليلة الاثنين لعشرين خلون من ذي القعدة عام ثمان وعشرين وسبعمائة هجرية ، فكيف رآه ابن بطوطة يعظ على منبر الجامع ، وسمعه ؟؟٠٠ ولم يكن يعظ الناس على منبر الجامع ـ كما زعم ابن بطوطة ـ وانما كان يجلس على كرسي يعظ الناس ٠

على أن ابن بطوطة لم يكتب رحلته بقلمه ، وانما أملاه على ابن جزي الكلبي ، فيجوز أن يكون ذلك من تحريف النساخ ، أو وسوسة بعض الخصوم ١٠٠هـ٠

وزيادة على ما أسلفناه نتحف القارىء بعقيدة موجزة لشيخ الاسلام(١) فى لاميته الشهيرة(٢) :

حب الصحابة كلهم لى مذهب
ومودة القربى (٣) بها أتوسل
ولكلهم قدر علا وفضائل
لكنما الصديق منهم أفضل
وأقول فى القرآن ما جاءت به
آياته فهو الكريم المنزل
وأقول قال الله جل جلاله
المصطفى الهادى ولا أتأول

---

(١) ولد شيخ الاسلام أحمد بن تيمية سنة ٦٦١هـ ـ وتوفى سنة ٧٢٨هـ .

(٢) شرح هذه اللامية الشيخ أحمد بن عبد الله المرداوى الحنبلى وسماه اللآلىء البهية فى شرح لامية شيخ الاسلام ابن تيمية ، طبع فى الرياض ـ مؤسسة النور للطباعة والتجليد .

(٣) المودة من المعانى والصفات القائمة بالمرء ، فالمتوسل هنا توسل بالصفات والمعانى ، كأن يقول اللهم أسالك بحبى للنبى أو لأهل بيته وذوى قرباه . فهذا جائز ، أما التوسل بالذوات كالمتوسل بالنبى أو بأحد الصحابة أو بأحد أهل البيت ، فلا يجوز كما سيأتى بيانه .

وتأمل قوله : والى السماء بغير كيف ينزل ، كيف ينفى الشيخ تمثيل الله وتشبيهه بخلقه جل جلاله ، ولكن من طمس الله بصيرته وأعماه عن طريق الهدى يقول ما يريده ، ويتقول على أهل العلم وعلى وعلى غيرهم ما يمليه عليه الشيطان .

وجميـع آيـات الصـــفات أمـرهـا
حقـــا كمـــا نقـــل الطـــراز الأول

وأرد عهدتهـــا الـــى نقالهـــا
وأصـــونها عـــن كل مـــا يتخيـــل

قبحـــا لمـــن نبـــذ القـــرآن وراءه
واذا اســـتدل يقـــول قـــال الا خطـــل

والمؤمنون يـــرون حـــقا ربهـــم
والى الســـماء بغيـــر كيف يـــنزل

وأقـــر بالميـــزان والحـــوض الـــذى
أرجـــو بأنى منـــه ريـــا أنهـــل

وكـــذا الصـــراط يمـــد فـــوق جهنـــم
فمســـلم نـــاج) وآخـــر مهمـــل

والنـــار يصـــلاها الشـــقى بحكمـــة
وكـــذا التـــقى الى الجنـــان ســـيدخل

ولـــكل حـــى عاقـــل فـــى قبـــره
عمـــل يقـــارنه هنـــاك ويســـأل

هـــذا اعتقـــاد الشـــافعى ومـــالك
وأبـــى حنيفـــة ثـــم أحمـــد ينقـــل

فـــان اتبعـــت ســـبيلهم فموفـــق
وان ابتدعت فمـــا عليـــك معـــول

وقال الشيخ فى خصوص كلام الله فى رسالته الواسطية :

فصـــل

ومن الايمان بالله وكتبه : الايمان بأن القران كلام الله منـــزل غير مخلـــوق ، منه بدأ ، واليـــه يعود ، وأن الله تكلم به حقيقة ، وأن هذا القـــرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ـ هو كلام الله حقيقـــة لا كلام غيره ولا يجوز اطـــلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة ، بل اذا قرأه الناس أو كتبوه بذلك فى المصاحف لم يخرج عن أن يكون كلام الله تعـــالى حقيقة ، فان الكلام انما يضاف حقيقة ، الى من قاله مبتدئا ، لا الى من قاله مبـــلغا مؤديا ، وهـــو كلام الله ، حروفه ومعانيه ، ليس كلام الله الحروف دون المعانى ، ولا المعانى دون الحروف .

وها أنا أذكر زيادة على كلام شيخ الاســـلام عقيدة شيخين جليلين من قدماء الحنابلة وأكابر علماءهم .

(الاول) ـ الشيخ الحافظ العلامة عبد الغنى المقدسى .

(الثانى) ـ الشـــيخ العـــلامة موفق الديـــن

عبد الله بن أحمد بن محمد بـن قدامه المقدسى مؤلف كتاب المغنى(١) ٠

والى القــارىء ما قالــه الشــيخ عبد الغنى المقدسى الحنبلى فى عقيدته :

اعلم وفقنا الله واياك لما يرضـيه من القـول والعمل والنية وأعاذنا واياك من الزيـغ والزلل أن صالح السلف وخيار الخلف وسادات الأئمة وعلماء الامــة اتفقت أقوالهم وتطابقت اراؤهم على الايمان بالله عز وجل وانه واحد أحد فـرد صمدحى قيوم سميع بصير لا شريك له ولا وزير ولا شبيه ولا نظير ولا عدل ولا مثيل وأنه عز وجل موصوف بصفاته القديمة التى نطق بها كتـابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وصـح به النقل عن نبيه وخيرته من خلقه محمد سيد البشر الذى بلغ رسالة ربه لأمته وجاهد فى الله حق جهاده وأقام الملة وأوضح الحجة وأكمل الدين وقمع الكافرين ولم يدع لملحد مجالا ولا لمجادل مقالا ٠

وروى طارق بن شــهاب رضى الله عنه قال جاء يهودى الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال أميـر المؤمنين آية فى كتابكم تقرؤنهـا لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك عيدا قال

---

(١) المتوفى سنة ٦٠٠ هجرية ٠

أى آيــة قال (اليــوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)(١) ، فقال عمر انى لأعلم ذلك اليوم الذى نزلت فيــه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بعرفة عشية جمعة ٠

فأمنوا بما قــال الله ســبحانه فى كتــابه وصح عن نبيه وأمروه كما ورد من غير تعرض لكيفيته واعتقاد شبيه أو مثيل أو تأويل يؤدى الى التعطيل ووسعتهم الســنة المحمدية والطريقــة المرضية ولم يتعــدوا بها الى البدعــة الرديــة فحازوا بذلك الرتبة السنية والمنزلة العلية ٠

كما قال فى بحث الكلام :

ومن مذهب أهل الحق أن الله عز وجل لم يزل متكلما بكلام مسموع مفهوم مكتوب قال الله عز وجل (وكلم الله موسى تكليما)(٢) وروى عدى بن حاتم رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما منكم من أحد الا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان ثم ينظر أيمن منه فلا يرى الا شيئا قدمه ثم ينظر أشأم منه فلا يرى الا شيئا قدمه ثم ينظر تلقاء وجهه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يقى وجهه النار ولو

---

(١) المــائده (٣) ٠

(٢) النســاء ـ ١٦٤) ٠

بشق تمرة فليفعل)وروى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال لما قتل عبد الله بن حرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ياجابر ألا أخبرك ما قال الله لأبيك قال بلى قال وما كلم الله أحدا الا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحا قال ياعبد الله تمن على أعطك قال يارب تحيني فأقتل فيك ثانية قال انه سبق منى أنهم لا يرجعون قال فابلغ من ورائى فانزل الله عز وجل (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) (١) رواه ابن ماجه .

والقرآن كلام الله عز وجل ووحيه وتنزيله والمسموع من القارىء كلام الله عز وجل قال الله تبارك وتعالى (فأجره حتى يسمع كلام الله) وانما سمعه من التالى وقال عز وجل (يريدون أن يبدلوا كلام الله(٢) وقال عز وجل (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)(٣) وقال عز وجل (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين)(٤) وهو محفوظ فى الصدور كما قال عز وجل (بل هو آيات بينات فى صدور الذين أتو العلم)(٥) (ا ٠ هـ من

---

(١) آل عمران ـ ١٦٩) .
(٢) الفتح ـ ١٥) .
(٣) الحجر ـ ٩) .
(٤) الشعراء ـ ١٩٢ ـ ١٩٣) .
(٥) العنكبوت ـ ٤٨) .

المجموعة العلميـة السـعودية من درر علمـاء السلف الصالح) تحقيق الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد) .

وقال الشيخ العلامة موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى(١) :

الحمد لله المحمود بكل لسان ، المعبود فى كل زمان ، الذى لا يخلو عن علمه مكان ، ولا يشغله شأن عن شأن ، جل عن الاشباه والأنداد ، وتنزه عن الصاحبة والأولاد ، ونفذ حكمـه فى جميـع العباد ، ولا تمثله العقول بالتفكير ، ولا تتوهمه القلـوب بالتصـوير ، (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير)(٢) .

له الأسـماء الحسـنى ، والصـفات العلى (الرحمن على العـرش اسـتوى ، لـه مـا فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثـرى ، وان تجهـر بالقـول فانه يعلم السـر وأخفى) . ٥،٦،٧ سورة طه

أحاط بكل شىء علما ، وقهر كل مخلوق عزة وحكما ، ووسع كل شىء رحمة وعلما (يعلم ما

---

(١) المتوفى سنة ٦٢٠ هجرية .
(٢) الشورى ـ ١١) .

بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) ٠
١١٠ سورة طه

موصوف بما وصف به نفسه في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم ، وكل ما جاء في القران أو صـح عن المصطفى عليه السـلام من صفات الرحمن ، وجب الايمـان به وتلقيـه بالتسـليم والقبـول ، وترك التعرض له بالـرد والتأويل ، والتشبيه ، وما أشكل من ذلك وجب اثباته لفظا وترك التعرض لمعناه ونرد علمه الى قائله ونجعل عهدته على ناقله ، اتباعا لطريق الراسـخين فى العلم الذين أثنى الله عليهم فى كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى (والراسخون فى العلم يقولون آمنـا به كل من عند ربنـا وما يذكـر الا أولـوا الألبـاب) آيـة (٧) ـ ال عمـران ، وقال فى ذم مبتغى التأويل لمتشـابه تنزيله (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله) آية ـ٦ـ آلعمران ـ فجعلابتغاء التأويل علامةعلىالزيغ وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم ، حجبهم عما أملوه وقطـع أطماعهم عما قصدوه ، بقوله سـبحانه (وما يعلم تأويله الا الله) ٠ آية ٦ ال عمران

قال الامام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضى الله عنـه فى قـول النبى صلى الله عليـه

وسلم (ان الله ينزل الى سماء الدنيا ـ وأن الله يـرى فى القيامة) وما أشـبهه : هذه الأحاديث نؤمن بها ونصدق بها ، لا كيف ولا معنى ولا نرد شيئا منها ونعلم أن ما جاء به الرسـول حق ولا نرد على رسـول الله صلى الله عليه وسـلم ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسـه بلا حد ولا غاية (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) ونقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه ، لا نتعدى ذلك ولا يبلغه وصف الواصفيـن ، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشـابهه ، ولا نزيـل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت ولا نتعدى القرآن والحديث ، ولا نعلم كيف كنه (١) ذلك الا بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيت القرآن ٠

قال الامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنـه : آمنـت بالله وبمـا جـاء عـن الله عـلى مـراد الله ، وآمنـت برسـول الله وبمـا جـاء عـن رسـول الله عـلى مراد رسول الله ، وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضى الله عنهم كلهم متفقون على الاقرار والامرار والاثبات لما ورد من الصفات فى كتاب الله وسـنة رسـوله من غير تعرض لتأويله وقد أمرنا بالاقتفـاء لآثـارهم والاهتـداء بمنارهم

---

(١) كنه الشىء : حقيقته ونهايته ٠

وحذرنا المحدثات(١)،وأخبرنا أنها من الضلالات فقال النبى صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم · (ا ·هـ من لمعة الاعتقاد الهادي الى سبيل الرشاد . لشيخ الاسلام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى) ·

فهذه عقيدة شيخ الاسلام والشيخين الجليلين وهكذا سائر الحنابلة ، أنهم كسائر السلف الكرام فى صفات الله جل وعلا ومنها كلامه ، فهل فيها حرف واحد مما يزعمه أولئك الذين نسبوه الى التشبيه والتجسيم وأولئك الذين نسبو الى الحنابلة هذا الزعم الباطل ، وأنهم يقولون أن الجلد والغلاف للقرآن قديمان · · · يالها من فرية عظيمة لا تليق بمن لم يكن من أهل

---

(١) المنار : جمع منارة وهى العلامة تجعل بين الحدين ، ومنار الحرم : أعلامه التى شربها الخليل على اقطاره ونواحيه والميم زائدة ومنه حديث ابى هريرة (ان للاسلام صوى ومنارا) أى علامات وشرائع يعرف بها ·

والمحدثات جمع محدثة بالفتح وهى مالم يكن معروفا فى كتاب ولا سنة ولا اجماع ، كذا فى النهاية ·

العلم ، فكيف بمن يزعم أنه من العلماء ينتصب للتدريس والوعظ والارشاد والتآليف ، ويدعى أنه يقـود الناس الى الصـراط المسـتقيم ، الى صراط أهل السنة والجماعة ٠

فأين فى عقيـدة أهـل السـنة والصحابـة والتابعين والأئمة المهتدين كالامـام الشـافعى ومالك وأحمد ابن حنبل والامـام أبى حنيفة وابن المبارك واسحاق بن راهويه والاوزاعى والنخعى والليث بن سعد والبخارى ومسلم وسـائر أهل الصحاح والمسانيد ، تأويل الاستواء بالاستيلاء ونزول الله بنزول الرحمة واليـد بالقدرة وكلام الله أنه مخلوق أو أنه عبارة عن كلام الله النفسى القائم بذاته ، وأما هذا القرآن الذى يتلوه الناس فهو حادث كما يقول الأشاعرة ٠ ٠ ٠ سبحانك هذا بهتان عظيم يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبـدا ان كنتم مؤمنين) ٠ آية ١٥ من سورة النور ٠

الافتراء على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه من الحنابلة النجديين ورد تلك المفتريـــــات

فكما افتـرى بعض المتكلميـن على الحنابلة السابقين ، بأن رموا بعضهم بالتمثيل والتشبيه والتجسيم ، وبعضهم بهذه الفرية ، فقد افترى كثير من معاصرى الشيخ المجدد المصلح الشهير محمد بن عبد الوهاب ابن سليمان التميمى (١) عليه وعلى اتباعه ، وتناقلها كثير من الناس ممن نسب نفسه الى العلم ومن العوام ، ونسبوا اليه ـ رحمـه الله ـ والى أتباعـه أنهم لا يجعلـون للرسول حرمة ، بل يقول أحدهم عصاى خير من الرسول ، ولا يرون للعلماء والصالحين مقاما ، وينكرون شفاعة الرسول ، ويحرمون زيارة قبره وقبور سـائر المؤمنين ، ولا يرون الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم ـ ولا يعتنون بكتب الأئمـة ، بـل يحرقونها ويتلفونهـا ، ولا يرون تقليدهم جائزا ، ويكفرون المسـلمين من قـرون عديدة ، سوى من كان على معتقدهم ، ويحرمون قراءة المولد النبوى ٠٠ الى غير ذلك من المزاعم

---

(١) ولد فـى العيينة سنة ١١١٥هـ ـ وتوفى فى ذى القعـدة سنة ١٢٠٦هـ ٠

والجواب : أن هذه الاشـياء المنسـوبة اليهم ، كلها كذب لا نصيب لها من الصحة أبدا ، وهذه كتبهم مطبوعة تباع وتوزع ، فمن أراد أن يعرف كذب هذه المزاعم فليقرأ كتبهم ٠

وكل ما فى الأمر،أن الشيخ محمد عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ رأى أكثر أهل نجد وأهل الحجاز وأهل البصرة والعراق ، كماسمع بالنقل المتواتر عـن سـائر الاقطـار الاخـرى ، أنهـم يؤلهـون قبـور الانبيـاء والاوليـاء والصـالحين ، بـل وكثيـرا مـن الكهـوف والغيران والأشجار ، يعتقدون فيها الضر والنفع ويطوفون حول قبورهم ، وينذرون لتلك القبـور وتلك الأشجار ، ويقدمون لها القرابين ، ويحلفون بالأنبيـاء والصـالحين ، ويسـتغيثون بهم فى الشدائد والملمات لدفع الكربات ، وكشف البليات وقضـاء الحاجـات ٠ ورأى تهـاون أهل نجـد بالصلاة ودفع الزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، زيـادة على بدعهم وضلالهم ، كما رأى علماء الاقطار وسكوتهم على تلك الترهات والمنكـرات الا من قـل ونـدر ، فقويت عزيمته وارادته بتوفيـق من الله ، أن يدعـو الناس الى الطريـق المسـتقيم ، فدعاهم الى توحيـد الله ، وافراده بالعبادة ، وبين لهم أن اعتقادكم بأن الله هو الخالـق الـرازق المحيى المميت المدبـر ، لا

ينجيكم من عذاب الله مادمتم لا تخلصون لله ، ولا تفردونه بالقصد والارادة فى عباداتكم بل تشركون معه نبيا أو صالحا أو شجرا ٠

وبين لهم أقسام التوحيد : توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ، وتوحيد الاسماء والصفات ، ووضح لهم أن اعتقاد توحيد الربوبية لا يكفى لدخول الانسان فى الاسلام ، لأن المشركين السابقين يعتقدون هذا الاعتقاد ، ولم يدخلهم فى الاسلام ، قال الله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم)

بل لابد من توحيد العبودية ، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال ، فالصلاة والصوم والزكاة والحج والطواف والنذر والخشية والرغبة والتوكل والذبح والاستغاثة كلها من أفراد العبادة ٠ فمن نذر لغير الله أو استغاث بغيره أو طاف بالقبور أو اعتقد بواسطتها ينال خيرا ونفعا ، أو أنها تقربهم الى الله،فانه بذلك الاعتقاد يكون مشركا ٠

واستدل الشيخ على دعوته بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، كقوله تعالى (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) (١) الآية ، وقوله (ومن يدع مع الله الها

---

(١) سورة البقرة آية ٢١) ٠

آخر لا برهان له به ، فانما حسابه عند ربه ، انه لا يفلح الكفرون)(١)،(ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين)(٢) ٠ وكقوله تعالى (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ٠ ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب)(٣) ٠

فكلمة من دون الله تشمل كل معبود غيره من نبى أو ملك أو ولى أو غيرهم ، واستدل الشيخ فى نهيه عن عبادة الصالحين والأولياء بقوله تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ٠ أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون)(٤) وسيسأل الله المسيح عليه السلام يوم القيامة ليبكت المسيحيين الذين عبدوه وجعلوه الها من دون الله ، قال تعالى (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله(٥) وهنا يتبرأ المسيح ويجيب (قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته

---

(١) آية المؤمنون) ٠
(٢) آية يونس) ٠
(٣) آية الحج) ٠
(٤) آية آل عمران) ٠
(٥) آية المائدة) ٠

فقد علمته · تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب)(١) ، فاذا كان الله ينكر على عباد المسيح وهو من النبيين المرسلين فكيف بمن يعبد غيره ·

وبالجملة ـ حثهم على التمسك بالكتاب والسنة ، وترك الشرك والبدع ، فقامت عند ذلك قيامة الجهال ، وأهل البدع والضلال ، وعلماء السوء ، وشنعوا على الشيخ ورموه بهذه الافتراءات ، وجرى ما جرى مما سجله التاريخ ·

والى القارىء تفنيد تلك المزاعم :

فنقول : بل يعتقدون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أفضل الأنبياء والمرسلين ـ فضلا عن سائر المخلوقين ـ ويؤمنون بشفاعته العظمى وغيرها من سائر الشفاعات(٢) ·

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ فى رسالته التى كتبها لأهل القصيم : وأومن بشفاعته ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانه أول شافع وأول مشفع ، ولا ينكر شفاعة النبى الا أهل البدع والضلال ، ولكنها لا تكون الا من

---

(١) المائدة ·

(٢) لكن لا تطلب منه فى الدنيا بان يقول : اسألك الشفاعة بل يسال الله ان يشفعه فيه وأن لا يحرمه من شفاعته صلى الله عليه وسلم ·

بعد الاذن والرضا ، كما قال الله تعالى (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) ١٠ ـ هـ ٠(١) ٠

ويـرون أن الصـلاة على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أجل القربات وأفضل الطاعات بل يرون أن الصلاة على الرسـول ـ صلى الله عليه وسـلم ـ ركن من أركان الصلاة ، لا تصح الصلاة الا بالصلاة على الرسول ، بينما سائر المذاهب يرون أنها سنة فى الصلاة فقط ٠ (٢)

فمن منهم أكثر محبة وتعظيما للرسول صلى الله عليه وسلم ؟

ولم يكفـروا مرتكب الكبائر ـ كما عليه أهل السـنة ـ ، ولم يقولوا بكفر جميع الناس ، كما زعم الكذابون ، بل قالوا من عبد غير الله ، كأن يتقرب الى قبر نبى أو صالح أو شجرة أو كهف ، بصـلاة أو صدقة أو نذر أو ذبح ، أو يعتقد فى مخلوق ضرا ونفعا ، فهذا يكون مشركا لقـوله تعالى (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه،انه لا يفلح الكافرون)(٣) وقوله تعالى (انه من يشـرك بالله فقد حـرم الله

---

(١) البقرة ـ ٢٥٦) ٠

(٢) ولكن فى مذهب الامام الشافعى قول بأنها من فروض الصلاة ومذهب مالك وأبى حنيفة أنها سنة وهو قول للامام الشافعى ٠

(٣) اية المؤمنون ٠

عليه الجنة ومـأواه النـار ، وما للظالمين من أنصار) (١) وقوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)(٢) .

ولا يشك عاقل مسلم أن الطواف عبادة ، والنذر عبادة والصلاة عبادة والذبح عبادة والدعاء عبادة ، فاذا صرف منها شيئا لغير الله يكون قد أشرك مع الله الها آخر ، ولكن لا يبادرون أحدا بالتكفير ، حتى يقيموا عليه الحجة من الكتاب والسنة ، ولم يقل أحد منهم أن عصاى خير من الرسول ، بل لم يقولوا أن ابراهيم الخليل خير من الرسول ، فضلا عن العصا ، ولا يحرمون زيارة قبر الرسول ، ولا زيارة سائر القبور ، بل يقولون مسنونة ، الا النساء فانهم يمنعونهن من الزيارة ، لحديث (لعن الله زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد) ، ولكن يحرمون شد الرحال الى قبور الأنبياء وغيرهم ، للحديث الوارد (لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد

---

(١) آية المائدة .
(٢) آية الكهف .

الأقصى) ، وينبغي أن يقصد زيارة المسجد(١) لنص الحديث ، فاذا ورد هنـاك فليسـلم على الرسـول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصاحبيه ، ويزور البقيع ·

فاذا كانت زيارة سـائر قبور المؤمنين سـنة للحديث الوارد (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها) فكيف بزيارة قبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؟؟

ويرون للعلماء والصالحين مقامـا عظيمـا ، وينتفعون بكتبهم ، ويشترونها بأغلى الأثمان ، من سائر المذاهب · لكنهم يقولون « ان العلماء والصالحين وحتى الأنبياء والمرسلين لا يستحقون

---

(١) وقد أحسن من قال من أفاضل أهل نجد ·

وان رمـت للهـادى البشـير زيـارة
تحـط بهـا ذنبـا وتمحـو بهـا وزرا

فقـدم عليهـا نيـة المسـجد الـذى
بـه الله فـى الاذكار قد رفـع الذكـرا

وثـم اذا نلـت الامـانى بقربـه
وشـاهدت مـن أركانه النـور والفخـرا

فبـادر على العينيـن والـرأس ماشـيا
وقـابـل امـام المرسـلين أبا الزهـرا

وسـلم عليـه مـن قـريب وفـز بمـا
سـعدت بـه مـن زورة تشـرح الصـدرا

فقـل هـل تـرى فيمـا نقـول ملامـة
ولـكن أعمـى العيـن لا يبصـر الفجـرا

العبادة ، لأن العبادة مختصة بالله رب العالمين ولأننا اذا عبدناهم جعلناهم آلهة وهم لا يرضون بذلك ، ولكن علينا أن نعظمهم ونتبعهم فى هديهم الموافق لهدى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وننتفع بعلمهم وكتبهم ٠

وكيف لا يحبون العلماء وهم ورثة الأنبياء ونجوم أهل الغبراء ؟؟ ، ولم يحرموا تقليد الأئمة المعتبرين ، مع العلم ما فى التقليد من الخلاف ، فمن العلماء من حرمه مطلقا ، ومنهم من أجازه مطلقا من غير تفصيل ، ومنهم من قال: يحرم على المجتهد ، أو من يكون قادرا على الاجتهاد ، ويجب على غير القادر ٠

والشيخ محمد عبد الوهاب كان حنبليا وأتباعه حنابلة ، فلو كانوا يحرمون التقليد لما كانوا حنابلة ، وأكثر كتبهم التى يقرؤونها ويدرسونها وينتفعون بها هى كتب الحنابلة الأقدمين والسابقين خصوصا ، وكتب أتباع المذاهب عموما ٠

نعم كان الشيخ ـ رحمه الله ـ وأتباعه من بعده ، على أنه يجب الأخذ بالدليل الذى لا معارض له ، ولا مخصص ولا ناسخ ، ولو خالف المذهب ، وبالفعل يأخذ علماؤهم بالدليل فى بعض المسائل ، خلاف المذهب ، على أنه قل أن

يوجد قول مؤيد بالدليل والحال مخالف للمذهب المعتمد ، وليس فيه رواية عن الامام أحمد ، على أننا لو سلمنا تسليما جدليا ، أنهم منعوا التقليد فليسوا بالمنفردين لذلك ، بل الخلاف موجود ، وهذه كتب الأصول موجودة فى امكان كل واحد فاهم ، أن يقرأ باب الاجتهاد والتقليد (١) ، ليعرف ما فى التقليد من الخلاف ، فأى ذنب اذا للحنابلة النجديين ؟؟

وأما زعمهم أنهم حرموا قراءة المولد الشريف فهذا يدل على جهل عميق من القائلين ، كسائر جهالاتهم السابقة ، وتعصبهم الفاسد ، اذ كل من شم رائحة العلم يعلم أن الاحتفال بالمولد حدث فى القرن السابع ، والذى أحدثه هو الملك المظفر صاحب اربل ، وأقام الولائم الضخمة حتى قيل : كان يذبح فى ليلة المولد عشرة آلاف رأس من الأغنام وسبقه الفاطميون فى مصر فى القرن الرابع الهجرى كما أسسوا المآتم وبنوا ضريحا سموه قبر الحسين وهو كذب لا أثر له من الصحة ·

---

(١) وان أردت أيها القارىء كتابا مخصوصا ، فاقرأ أعلام الموقعين » لترى البحث المستفيض فى هذا الشأن ، ورسالة للشوكانى تسمى القول المفيد فى الاجتهاد والتقليد ، وكتاب « ايقاظ همم أولى الاعتبار للفلانى » والاقليد للشيخ صديق بن حسن خان ، وتنزية السنة والقرآن لكاتب هذه السطور ·

ومن حين ما حدث اختلف العلماء ، فمنهم من قال أن الاحتفال بالمولد بدعة حسنة ، ومن العلماء من قال ، أنها بدعة ، وكل بدعة ضـلالة كما فى نص الحديث ، والرسـول قد وردت عنـه عـدة أحاديث تحذر عن البدع والمحدثات كقوله (عليكم بسنتى وسـنة الخلفاء الراشـدين المهديين من بعـدى ، عضـوا عليها بالنواجـذ ، وايـاكم ومحدثات الامـور ، فان كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار) . رواه الترمذى وحسنه ولم يأت ما يخصص هذا العموم حتى يزعموا انها بدعة حسنة .

وقراءة المولـد ، بـاب من أبـواب السـيرة النبوية ، وقراءة الانسان سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشمائله ومعجزاته ، وهجرته وغزواته ، لا شـك أنها تزيـد الايمان وتقويه ، وينبغى للمسلم أن يكون ملما بسيرته ومناقبـه صلى الله عليه وسـلم ـ حتى يعـرف حقيقة هذا الرسول العظيم ، الذى أرسله الله رحمة للعالمين .

والشيخ محمد ـ رحمه الله ـ ألف مختصـر السيرة ، وقد طبع عدة مرات ، وانتشر فى سائر الاقطـار ، فلو لم يكن محبا للرسـول ، لما ألف سيرة له ، ومن لا يحب الرسول ، لا يكون مسلما بل يكون يهوديا أو مسيحيا .

والشيخ وأتباعه يحثون الناس على التمسك بسنة الرسول الصحيحة ، ويشددون النكير على من يخالف سنة الرسول ، ويعدونه مبتدعا ٠

أما هذا دليل على كمال حبهم وتعظيمهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟؟ ولكن المنحرفين يرون حب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قراءة الأناشيد والاشعار والاستغاثات بالرسول وقراءة البرزنجى وأمثاله ٠٠ فمن عمل بهذا فهو محب للرسول ـ وان ارتكب الموبقات ، وتلطخ بقاذورات المبتدعات ومن لا فلا ٠

والنقطة الحساسة فى هذا المقام : أنه لا خلاف فى قراءة سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ولادته وشمائله ، ولكن الاحتفال فى ليلة الثانى عشر من شهر ربيع الاول ، وقراءة كتاب مخصوص ، ودق الدفوف ، وما يحصل من الاختلاط والامور المحرمة ، فهذا هو المنكر المبتدع ٠

والا فمن أراد أن يقرأ سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويفهم الناس أخلاقه العظيمة وشمائله الكريمة ، فلا مانع هنالك ، بل يستحب ذلك فى أى وقت أراد ٠

لكن هــذه الأكاذيــب والافتراءات ، افترتهــا الاشراف والاتراك، وبعض علماء السوء،تنفيرا عن دعوة الشيخ لمــا رأوا أن الدولة السعودية فى ذلك الوقت قد قويت ، ودخلت نجــد كلها فى طاعتهـــــا ، وامتـــــد ســـــلطانها الى عســير والحجــاز وعمـــان ، وغزت العراق ، فحاربوها بمثل هــذه الاشـــاعات والتهــم ، كما حاربوها بالسيف والسنان • والتاريـــخ شــاهد بذلك ، ولكــن أبى الله ألا أن يتــم نوره ولو كره الكافرون •

وللشيخ مؤلفات عديدة أشهرها كتاب التوحيد وشــرحه حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حســن وسماه فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد ، وللشيخ محمد كتاب الكبائر ونصيحة المسلمين ورسالة كشف الشبهات ومســائل الجاهلية ، كما أن له رسائل عديدة مختصرة كثلاثة الأصول(١) •

وها أنا أنقل للقارىء رسالة من رسائله ليعلم أن ما روجه أعداؤه من أنه كان مخالفا للسلف الصــالح أو مذاهب الائمة الاربعة ، أو أنه كان يكفر الناس ولا يحب الرســول ولا الانبيــاء ولا الأولياء الى غير ذلك من الافتراءات التى أملاها

---

(١) كما أن له مختصر الانصاف ، والشرح الكبير ، ومختصر السيرة ، ومختصر زاد المعاد وغيرها من كتب ورسائل •

الشيطان على السنتهم ، وسـولت لهم أنفسـهم بغية الصد عن دين الله ، وتنفير الناس عن اتباع الشيخ وخدمة للدولة العثمانية وحكومة الاشراف بالحجاز ، لأنهما رأيا أن فى دعوة الشيخ خطرا على حكومتهم وهاك نص الرسالة :

قال شيخ الاسـلام العالم الربـانى ، مجدد الدعوة الاسلامية ، والملة الحنيفية أوحد العلماء وأروع الزهاد ، الشيخ (محمد عبد الوهـاب) أجزل الله له الأجر والثواب ، وأسكنه الجنة بغير حساب لما سأله أهل القصيم عن عقيدته :

بسم الله الرحمن الرحيم

أشهد الله ومن حضرنى من الملائكة وأشهدكم انى أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه فى كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ــ من غير تحريف ولا تعطيـل ، بل أعتقـد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شىء وهو السـميع البصير ، فلا انفى عنه ما وصـف به نفسـه ولا أحرف الكلم عن مواضعه ولا الحد فى أسمائـه وآياته ولا أكيف ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه لانه تعالى لاسمى له ولا كفؤ له ولا ند لـه

ولا يقاس بخلقه فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل ، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل فقال : (سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين)(١) · والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية الجبرية ، وهم وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية ، وهم وسط في باب الايمان والدين بين الحرورية والمعتزلة ، وبين المرجئة والجهمية ، وهم وسط في باب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الروافض والخوارج ·

وأعتقد أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود ، وأنه تكلم به حقيقة وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأؤمن بأن الله فعال لما يريد ولا يكون شيء الا بارادته ولا يخرج شيء عن مشيئته وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره ولا يصدر الا عن تدبيره ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ولا يتجاوز ما خطله في اللوح المسطور ·

---

(١) ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ (الصافات) ·

وأعتقد الايمان بكل ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت ، فأومن بفتنة القبر ونعيمه وباعادة الارواح الى الاجساد ، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة غر لا تدنو منهم الشمس وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون)(١) وتنشر الدواوين فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله ٠

وأومن بحوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعرصة القيامة ، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا ، وأومن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم يمر به الناس على قدر أعمالهم ٠

وأومن بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم وأنه أول شافع وأول مشفع ، ولا ينكر شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم الا أهل البدع والضلال ، ولكنها لا تكون الا من بعد الاذن والرضى كما قال تعالى (ولا يشفعون الا لمن ارتضى)(٢) وقال تعالى (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه)(٣) وقال تعالى (وكم من ملك

---

(١) ١٠٢ ، ١٠٣ المؤمنون ٠ (٢) ٢٨ الانبياء ٠
(٣) ٢٥٥ البقرة ٠

فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)(١) وهو لا يرضى الا التوحيد ، ولا يأذن الا لأهله وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب ، كما قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)(٢) ٠

وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنهما اليوم موجودتان ، وأنهما لا يفنيان ، وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته ٠

وأومن بأن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين ، ولا يصح ايمان عبد حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته ، وأن أفضل أمته أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم على المرتضى ، ثم بقية العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان ، ثم سائر الصحابة رضى الله عنهم ، وأتولى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذكر محاسنهم وأترضى عنهم وأستغفر لهم وأكف عن مساويهم وأسكت عما شجر بينهم ، وأعتقد فضلهم عملا بقوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين

---

(١) ٢٦ النجم ٢٦ ٠ (٢) ٤٨ المدثر ٠

سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غــلا للذين آمنــوا ربنا انك رؤوف رحيم)(١) وأترضى عن أمهات المؤمنيــن المطهرات من كــل سوء وأقر بكرامات الأولياء(٢) وما لهم من المكاشفات الا

---

(١) ١٠ الحشر ٠

(٢) وأكثر ما ينسب ويذكر للاولياء مــن الكرامات ، كمــا فى طبقات الشــعراني وغيره ــ مختــلق لا أصــل له ، وفيه من الغــــلو والمجازفات وجعل العبد فى صف الخالق ما لا يخفى عــلى من شــم رائحة العلم ، وكثير منها مخالف للعقل وللذوق فضلا عن الشرع ، كمثلما يذكرون أن وليا رأوه يفعل فى حمارة ، فأراد بعضهم أن ينكر عليه ، فاعترضه آخرون قائلين : أن الشيخ له كرامات وربما حــول امرأته الى حمارة ، وبعضهم يجلس مكشــوف العورة طويل الاظافر يتغوط ويبول تحته ويزعم أنه مجذوب ، ويزعم المحبون أن له كرامات ويسردون للناس مــن كراماته وكرامات المقبورين ما تمجــه العقــول وتنفر منه الطباع ، ويؤول بصاحبه الى الكفر والنفاق ، كقول بعضهم أن امرأة عجوزة كانت تسكن ببغــداد ، وليس عنــدها من الابنــاء الا ابن واحد ، فتوفى ابنها فى ريعان شبابه ، فجــاءت الى الشــيخ عبد القادر ــ رحمه الله ــ تشكو عنده ملك الموت أنــه قبض ابنهــا الوحيد ولا عائل لهــا ، فذهب الشــيخ الى الســموات ، وأدرك ملك الموت فى السماء الرابعة ٠ واذ فى يديه طبق قد قبض فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف من أرواح المخلوقين من مواطنى بغداد ، فصفعه صــفعة سقط الطبق من يديه فرجعت الارواح الى أجسادها وأصبحوا أحيــاء بعد أن كانوا أمواتا ببركة الشيخ ، فهل يصــدق مثل هــذه الكرامة أو هذه الحكاية المصنوعة من يملك ذرة من عقل وهل وصل نبى مــن الانبياء بل هل وصل سيد المرسلين الى هذه الدرجة بل الى ارجاع روح واحدة ، أما خاطب الله نبيــه الكريم قائلا « (انك ميت وانهــم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) (١) وأين الشــيخ عبد القادر رحمه الله ــ اليــوم ، أما هو تحت أطبــاق الثرى ، مــن لا يســـتطيع عن نفســـه دفــع المــرض فضــــلا عــن المــوت فكيف يستطيع دفعه عن غيره ، وأين هؤلاء الجهلة من قوله تعالى يخاطب =

أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئا ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه الا الله ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار الا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى أرجو للمحسن وأخاف على المسىء ولا أكفر أحدا من المسلمين بذنب ، ولا أخرجه من دائرة الاسلام وأرى الجهاد ماضيا مع كل امام برا كان أو فاجرا وصلاة الجماعة خلفهم جائزة ، والجهاد ماض منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم الى ان يقاتل آخر هذه الأمة الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمروا بمعصية الله ، ومن ولى الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته وحرم الخروج عليه ، وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا ، وأحكم عليهم

= رسوله العظيم (وأن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وأن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) (٢) ، وقال تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير) (٣) وقال تعالى مخاطبا نبيه العظيم (قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السؤ ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (٤) .

(١) ٣٠ ، ٣١ الزمر . (٢) ١٠٧ يونس .

(٣) ١٧ الانعام . (٤) ١٨٨ الاعراف .

بالظاهر وأكل سرائرهم الى الله ، وأعتقد أن كل محدثة فى الدين بدعة ٠

وأعتقد أن الايمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق ، وأرى وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة ٠

فهذه عقيدة وجيزة حررتها وأنا مشتغل البال لتطلعوا على ما عندى والله على ما نقول وكيل ٠

ثم لا يخفى عليكم أنه بلغنى أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت اليكم وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم فى جهتكم والله يعلم أن الرجل افترى على أمورا لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالى (فمنها) قوله انى مبطل كتب المذاهب الاربعة ، وانى أقول أن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شىء وانى ادعى الاجتهاد ، وانى خارج عن التقليد وانى أقول ان اختلاف العلماء نقمة وانى أكفر من توسل بالصالحين ، وانى أكفر البوصيرى لقوله ياأكرم الخلق ، وانى أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمتها ، ولو أقدر على الكعبة لأخذت

ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب ، واني أحرم زيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ـ واني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما ، واني أكفر من حلف بغير الله ، واني أكفر ابن الفارض وابن عربى ، واني أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين وأسميه روض الشياطين .

جوابى عن هذه المسائل أن أقول سبحانك هذا بهتان عظيم ، وقبله من بهت محمدا صلى الله عليه وسلم انه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور ، قال تعالى (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون) بهتوه صلى الله عليه وسلم بأنه يقول أن الملائكة وعيسى وعزيرا فى النار .

فأنزل الله فى ذلك (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) الآية (١) .

وأما المسائل الأخر وهى أنى أقول لا يتم اسلام الانسان حتى يعرف معنى لا اله الا الله وأنى أعرف من يأتينى بمعناها وأنى أكفر الناذر اذا أراد بنذره التقرب لغير الله وأخذ النذر لأجل ذلك وأن الذبح لغير الله كفر والذبيحة حرام ، فهذه المسائل حق وانا قائل بها ، ولى عليها دلائل من كلام الله وكلام رسوله ومن أقوال

---

(١) ١٠٥ الانبياء .

العلماء المتبعين كالأئمة الاربعة ، واذا سهل الله تعالى بسطت الجواب عليها فى رسالة مستقلة ان شاء الله تعالى ٠

ثم اعلموا وتدبروا قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة)(١) ٠٠ الآية ١٠٥هـ (مجموعة رسائل التوحيد ـ جمع عبد الرحمن بن محمد ين قاسم) ٠

فهل فى هذه الرسالة وفى كتاب التوحيد الذى انتشر فى الشرق وفى الغرب يستطيع عالم فضلا عن جاهل أن يأتى بكلمة يدين بها الشيخ رحمه الله مما زعمه أولئك المغرضون ، ومثل هذه الرسالة عدة رسائل كتبها الشيخ رحمه الله الى كثيرين منها : الى عبد الله بن محمد عبد اللطيف الاحسائى ، وكتب الى علماء مكة وعالم من علماء المدينة ، وكتب الى من يصل اليه من المسلمين رسالة ، والى السويدى عالم أهل العراق فى زمانه ، والى أهل المغرب والى رئيس بادية الشام ، والى البكيلى اليمانى ، والى الشيخ اسماعيل الجراعى والى غير هؤلاء ، وفى كثير منها ينفى ما نسب اليه من عدم محبة الأولياء والصالحين وتكفير الناس أجمعين الا

---

(١) ٦ الحجرات ٠

من كان على مذهبه ومنــع زيارة القبــور ومنها زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ـ سوى منع شد الرحال الا الى المساجد الثلاثة ، فانــه قد اتبع الحديث ، وعدم احترام الأئمة الاربعــة وغيرهم واتلاف كتبهم الى غير ذلك مما صنعه المفتــرون ، وكل هذا كان جــوابه رحمــه الله ، سبحانك هذا بهتان عظيم ·

ومن يشــك فيما أقول ، فليقــرأ كتبهم ليعلم حقيقة الحال ، ولا يروج عليه ما يفتريه الجهال ، أو فليقرأ التواريخ التى ألفت لنجد كعنوان المجد لابن بشر ، وتاريخ ابن غنام الاحسائى ، وتاريخ نجد للألوسى وجزيرة العرب فى القرن العشرين لحافــظ وهبه ، وتاريخ نجــد القديــم والحديث للريحانى المسيحى ·

ويقــرأ الكتب التى ألفت فى تراجــم الشيخ ، مثل كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهــاب لأحمد بن عبد الغفور الحجازى ، ورسالة مختصرة فى ترجمــة الشيخ لعلى الطنطاوى ، كما أنى كتبت فى ترجمته كتابا أسميته (الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عقيدته السلفية ، ودعوته الاصلاحية وثناء العلماء عليه) ·

وأما ما ذكره الكتاب والمؤرخون فى حقيقــة دعوته والثناء عليه ، فأكثر من أن يحصر مثل :

حاضر العالم الاسلامى وتعليقات شكيب أرسلان ومثل ما كتبه الزركلى فى الاعلام ، كما ترجم له ـ رحمه الله ـ عبد الكريم الخطيب(١)، حتى أن كثيرا من المستشرقين كتبـوا عن دعوة الشيخ وأثنوا عليها ، هدانا الله واخواننا المسلمين الى سلوك الطريق المستقيم ٠

وخلاصة ما فى الأمر أن الشـيخ محمد بـن عبد الوهاب ـ أجزل الله لهالأجر والثواب ـ قال للناس لا تعبدوا الا الله ولا تتبعوا الا الرسـول محمد بن عبـد الله وأصحابـه ٠ صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ٠

هل قـال الا وحـدوا رب السـما
وذروا عبـادة ما سـوى المتفـرد

وتمسـكوا بالسـنة البيضـا
ولا تتنطعـوا بزيـارة وتردد

هذا الذى جعلـوه غشـا وهو قـد
بعثت به الرسـل الكرام لمن هـدى

من عهـد نـوح هكـذا تتـرى الى
عهـد النبى الهاشـمى محمـد

وهى دعوة جميع الأنبياء والرسل ، فان كانت

---

(١) والامام محمد بن عبد الوهاب لعبد الحليم الجندى ومحمد ابن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه لمسعود الندرى ٠

الرسل قد قالوا لأممهم اعبـدوا الله ولا تعبـدوا الاوثـان والاصنام فقد قال الشيخ اعبـدوا الله وحده وذروا عبادة القبور والاشجار والغيران والكهوف وكل شيء سوى الله لأن عبادة هـذه الأشـياء هى الوثنيـة بعينها ، وكونهم كانـوا يعتقدون بأن الله خالـق ورازق ومحيى ومميت ، وأن محمدا رســول ، لا يفيدهم شيئا بعـد أن أشـركوا بـه غيـره ، ولكن مع ذلك كله ما كان الشيخ يحكم بتكفيـر أحد الا بعد اقامـة الحجة عليه .

وأحب أن يفهم القارىء أو السـامع الأسباب والبواعث لانتشـار تلك المفاهيم المغلوطـة عن الشيخ محمد وأتباعه وتلك الافتراءات المنسوبة اليهم ، فتفضل اقرأ باختصار :

لمـا فشـلت علماء الضـلال من القبـوريين والمتصوفة وأمثالهم فى ميـدان الحجـج ، كتب كثير منهم الى الدولة العثمانية يحرضونها على الشيخ وأتباعه بأنه خـارج عن دائـرة المذاهب الاربعة وأنه مبتدع ويكفر الناس ، الى غير ذلك من تلك الأكاذيب الملفقـة التى أوحاهـا اليهـم الشـيطان وحب الرئاسـة والأصفر الرنـان ، ومازالوا بالعثمانيين يتوسلون اليهم والى قواد جيشهم حتى انخدعت الدولة بأولئك المفترين وزاد

الطين بلة ، ما رأت الدولة من قوة انتشار دعوة الشيخ وتأسيس دولة آل سعود ، ورأت أن الدولة السعودية قد بسطت نفوذها على نجد وامتد الى عمان ، وأخذت تغزو العراق وأطراف الشـــام وخافت أن يزول استعمارها من البلدان العربية لاسيما بعدما فتح آل سعود مكــة المكرمة ســنة ١٢١٨هـ ،قــام العثمانيــون عندئــذ بدورهــم الســياسى واســتعملوا القلم والســنان ضــد الشيخ وأتباعه النجديين ٠

أما القلم فأخذوا يوعزون الى بعض العلماء ممن قل نصيبه من الدين والعقل والحياء ، بأن يؤلفوا ضد الشيخ وأتباعه ، وينشروا بين الناس تلك الأكاذيب ٠

وأما الســنان فقد أمرت الدولة (محمد على باشا) واليها بمصر ، أن يجهز الجيوش الجرارة لحرب النجديين وابادتهم ٠٠٠ وجرى ما جرى ٠

وقامت أشــراف الحجاز بدورهم السياسى قبل الترك ، وحاربــوا الســعوديين والدعــوة السلفية ، ولكنهم باءوا بالفشل الذريع واندحروا وتم للسعوديين فتح مكة ٠

كما حاربــوا السعوديين قبل استيلائهم على مكة المكرمة وبعد خروجهم منها بنشر الدعايات

الكاذبة والافتراءات الصريحة وايعازهم الى بعض علمائهم ، بتأليف كتب ضد دعوة الشيخ وأتباعه ·

فألف مأجورو الترك والأشراف كتبا ، شحنوها بالاكاذيب والترهات ، وحشوها بالأحاديث الموضوعة والضعيفة والحكايات السمجة ضد الدعوة السلفية ، وزعموا أن الشيخ مبتدع خارجى ·

حتى أن (زينى دحلان) نزل الأحاديث الواردة فى الخوارج ، على الشيخ وأتباعه ، فى كتابه (الدرر السنية) وفى (الفتوحات الاسلامية)·

فعلوا كل ذلك تنفيرا للناس ، كيلا يتبعوا الشيخ الجليل ، ويعتنقوا مبدأه الصحيح ·

ومن دعايات الأتراك والاشراف المنفرة للناس ، نبزهم لأتباع الشيخ بالوهابية وجعلهم هذا اللقب على هذه الفرقة السلفية كعنوان لخروج هذه الفرقة عن المذاهب وعدم محبة النبى والصالحين · وكذبوا والله فى ذلك ·

والقصد الوحيد من تلك الدعايات والاشاعات الباطلة ، صد الناس عن اعتناق الدعوة ·

وأمر آخر وهو أن لا تقوى شوكة السعوديين ويتسع نفوذهم ، كى تبقى سيطرة الاتراك ،

وامــارة الاشــراف • ولكن الله رد كيــدهم فى نحرهم ، وعاملهم بنقيض قصدهم ، فانتشــرت دعوة الشيخ فى سائر الاقطار ، وعرف كثير من الناس صحتها وحقيقتها ، وأنها لا تخــرج عن نطاق الكتاب والسنة ، فاعتنقها كثيرون وألف جمع من المعتنقين لها كتبا فى تأييدها والدفاع عنها •

وهاك زيادة على ما قدمناه من رسالة الشيخ الامام محمد بن عبد الوهــاب ، ما قالــه الشيخ ســعد بن حمد بن عتيــق (١) أحد علماء نجــد المتأخرين •

لما ذهب الشيخ الى الهند وسئل هناك عمــا يعتقده ويعتقده مشايخه من علماء الدعــوة فى ثلاث مسائل الاولى : فى حكم الاستغاثة بالنبى ـ صلى الله عليــه وسلم ـ كقول القائل « أغثنى يا رسول الله، اشفع لى، فرج كربى • • ونحو ذلك •

والثانية : فى شــد الرحــال الى قبــر النبى ـ صلى الله عليــه وســلم وأقــول ومثله ســائر الأنبيــاء •

والثالثة : فى التوسل به عليه الصلاة والسلام

فأجاب فى المســائل الثلاث بجــواب مفيــد ، مستدلا بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية • • •

---

(١) المتوفى سنة ١٣٤٩هـ ـ رحمه الله ـ

قــال فى جــوابه عن المســألة الاولى « الذى نعتقــده وندين لله تعــالى به فى هذه المســـائل وغيرها ، هو ما دل عليه كتاب الله تعالى وسنة رســوله صلى الله عليه وســلم ، فان الله تعالى أنــزل كتابــه وأرســل رســوله ليبين للناس ما يهتدون به ويخلصهم من ظلمات الجهل والضلال ويوصلهم الى ربهم ســبحانه وتعالى ، كما قال (وما أرسلناك الا رحمة للعالميــن)(١) وقــال تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل الســلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم) (٢) ، وقال تعالى (الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صــراط العزيز الحميد)(٣) ، وقــال تعالى (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى)(٤) قال ابن عبــاس رضى الله عنهما « تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل فى الدنيــا ولا يشقى فى الآخرة ، ثم قال : (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتــك آياتنــا فنسيتها وكذلك اليــوم تنسى)(٥) ٠

---

(١) ١٠٧ الانبياء ٠
(٢) ١٥ ، ١٦ المــائدة ٠
(٣) ابراهيم ٠
(٤) ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ طه
(٥) طــه ٠

أما ما يفعله أكثر الناس عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ـ من دعائه والتضرع اليه وسؤاله بأنواع السؤال وكذلك ما يفعله عباد القبور من دعاء الأموات والاستغاثة بهم فى الشدائد والمهمات والاستنجاد بهم فى تفريج الكربات واغاثة اللهفات كل ذلك من أعظم المحدثات وأكبر المنكرات لأنه من الدعاء الذى هو مخ العبادة التى هى حق الله تعالى كما قال : (يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكمتتقون (١) · وقال تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) (٢) · وقال تعالى (اياك نعبدك واياك نستعين)(٣)أى لا نعبد الا اياك ولا نستعين الا بك كما يفيده تقدم المعمول ، وهذا معنى قوله (وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه)(٤) وقوله : (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)(٥) وقوله (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) (٦) فدلت هذه الآيات أوضح دلالة على أن العبادة بجميع أنواعها حق لله تعالى ، مختصة به لا يصلح منها شىء لملك مقرب ولا نبى مرسل فضلا عن غيرهما من الأولياء والصالحين وغيرهم من الاشجار

---

(١) ٢١ البقرة ·
(٢) ٩٩ الحجر ·
(٣) ٤ الفاتحة ·
(٤) ٢٢ الاسراء ·
(٥) ٢٦ النحل ·
(٦) ٣٦ النساء ·

والأحجـــار ٠

ولمـــا كانت العبـــــادة مختصـــة بـــه تعالى أمرنا باخلاصها له كما قال تعالى (وما أمـــروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمـــة) (١) وغير ذلك من الآيات الدالـــة على اختصاصـــه تعالى بالعبادة بجميع أنواعها ٠

ومن أعظم أنواعها الدعـــــاء كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : الدعاء مخ العبادة ، فمن دعا أحدا غير الله فقد عبده ، فان الله تعالى قـــد سمى الدعاء عبادة فى غير موضع من كتـــابه ، كما قال تعالى (وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين)(٢) فســـماه دعاء ثم سماء عبـــادة ذ وقال تعالى : (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر النــــاس كانوا لهم أعـــــداء وكانوا بعبادتهم كافرين) (٣) فســـماه فى أول الآية دعاء وسماء فى آخرها عبادة ، وقد أفصح القرآن فى مواضع بالنهى عن دعاء غبر الله كما قال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين)(٤) أى

(١) ٥ البينة ٠
(٢) ٦٠ المؤمن ٠
(٣) ٥ ، ٦ الاحقاف ٠
(٤) ١٠٦ يونس ٠

المشركين ، كما قال تعالى فى الآية الأخرى (ان الشرك لظلم عظيم) وقال تعالى : (وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا)(١) وصـــرح سبحانه بكفر من دعا غيره ، فقال تعالى (ومن يدع مـــع الله الها آخر لا برهان له به فانماحسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون)(٢) فدلت هذه الآيات على أنه سبحانه هو الاله الحق المتفرد بالعبادة كمـــا قال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وان مايدعون من دونه هو الباطل)(٣) ٠

فمن دعا غير الله من نبى أو ملك أو صالح أو غيرهم ٠ فقد أتى بالشرك الذى قال الله فيه (ان الله لا يغفر أن يشرك به)(٤) وشـــرع دينا لـــم يأذن به الله كما قال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله(٥) والله تعالى : انما شرع لعباده توحيده واخلاص العبادة لـــه كما قال تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه)(٦) ٠

---

(١) ١٨ الجن ٠
(٢) ١١٧ المؤمنون ٠
(٣) ٦٢ الحج ٠
(٤) ٤٨ النساء ٠
(٥) ٢١ الشورى ٠
(٦) ١٢ الشورى ٠

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والاعمال الظاهرة والباطنة مثل الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والذبح ·

فمن أخلص هذه العبادة بجميع أنواعها لله تعالى فهو المسلم وان فعل الكبائر · ومن أشرك فى شىء من أنواعها مخلوقا نبيا أو ملكا أو صالحا أو شيطانا أو شجرا أو حجرا فقد بدل الدين وأشرك برب العالمين وسلك ضد سبيل المؤمنين ، وقد قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين)(١) ومما ذكرنا يعرف مراد النبى صلى الله عليه وسلم من النهى عن الصلاة عند القبور والبناء عليها واتخاذها مساجد ولعن فاعل ذلك كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وانما نهى عن ذلك واشتد نكيره على فاعله لأنه ذريعة الى الشرك فى العبادة التى هى حق الله تعالى ، وفى الصحيح عن عائشة أن أم سلمة رضى الله عنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال (أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنو على قبره مسجدا وصوروا فيه

---

(١) ٨٥ آل عمران ·

تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله وفى حديث جندب بن عبد الله مرفوعا « ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى أنهاكم عن ذلك » .

ونهى النبى صلى الله عليه وسلم : عن الغلو والاطراء وهو مجاوزة الحد كما قال صلى الله عليه وسلم « لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مزيم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » ، وقال صلى الله عليه وسلم « اياكم والغلو فانما أهلك من كان قبلكم الغلو » وقال صلى الله عليه وسلم ـ للذى قال قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم ـ (من هذا المنافق أنه لا يستغاث بى وانما يستغاث بالله (وقد وقع ما حذر منه صلى الله عليه وسلم أمته من الغلو والاطراء وفشى ذلك فى البلاد والعباد حتى عظمت الفتنة واستحكم الشر وتفاقم الأمر واشتدت الفتنة بالقبور وأهلها حتى وقعوا فى الغاية التى لأجلها نهى صلى الله عليه وسلم عن الغلو وعن البناء على القبور واتخاذها مساجد وصار المعروف منكرا والمنكر معروفا والبدعة سنة والسنة بدعة وباشر أكثر الخلق جهارا ماجاءهم فيه النهى الصريح من ربهم ونبيهم

صلى الله عليه وسلم وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ) فانا لله وانا اليه راجعون ٠

وبما حررنا تعرف أن ما يفعله القبوريون اليوم فى مصر والشام والعراق والهند وغيرها من البلاد من عبادة القبور والاستمداد بأهلها وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات كقول بعضهم يافلان أغثنى أو يافلان أشف مريضى ورد غائبى ،وأنا فى حسبك٠ ونحو هذه الالفاظ، ان هذا هو الشرك المبين والضلال البعيد كما قال تعالى (يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد) (١) وفى الاتيان بالكاف التى هى للبعد وتوسط اللام بينهما وبين اسم الاشارة واقحام ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر مع تعريفه ووصفه بالبعد ما يقتضى أن هؤلاء قد بلغوا من الضلال والغواية والبعد عن الصراط المستقيم الى مالا نهاية له كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون)(٢) قال المفسرون معنى قوله من أضل أى لاأحد أضل منه ، ولهذا كان هذا الذنب أعظم الذنوب عند الله وأكبر الكبائر ورتب عليه الخلود فى النار

---

(١) ١٢ الحج ٠ (٢) ٥ الاحقاق ٠

وحرم أهله جنته كما قال تعالى (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار)(١) وقال : (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)(٢) وقال تعالى (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون)(٣) وفى الصحيح عن ابن مسعود مرفوعا أى الذنب أعظم قال : أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم أى قال : أن تقتل ولدك خشيةأن يطعم معك قال ثم أىقال: أن تزانى حليلة جارك : فأنزل الله تصديق ذلك (والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون)(٤) ٠

---

(١) ٧٢ المائدة ٠
(٢) ٦٥ الزمر ٠
(٣) ٨٨ الانعام ٠
(٤) ٦٨ الفرقان ٠

المسـألة الثانيـة

وأما المسألة الثانية وهى مسألة شد الرحل لزيارة قبر النبى صـلى الله عليـه وسلم ـ فقد جوز طائفة من متأخرى العلماء شد الرحل الى قبر النبى صلى الله عليه وسـلم وكذلك قبـور الصالحين،وخالفهم طوائف من المحققين. والذى نعتقده هو مادل عليه الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحـرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى ، وبهذا الحديث الصحيح تعرف بطلان قول المجوزين ، فان كل قول يخالف قول سيد المرسلين مردود على قائله مضروب به فى وجهه لا يلتفت اليه ولا يعول عليه .

وكل أحد من أفراد الأمـة وان بلغ فى العـلم ما عسى أن يبلغ فهو أنقص من أن يرد لقوله قول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ـ لاسيما أن كان ذلك القائل فى القرون المتأخرة المفضولة كما فى مسألتنا وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يوشك أن تنزل عليكم حجـارة من السماء أقول قال : رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ـ وتقولون قال أبو بكر وعمر فاذا كان هذا فيمن اختار قول أبى بكر وعمر على قول رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فيكف تكون حـال من رد

قوله صلى الله عليه وسلم لقول عالم من العلماء ٠

فمن شد الرحل لزيارة القبر الشريف أو غيره من قبور الصالحين فهذا ممنوع لما فى هذا الحديث من حصر جواز ذلك فى المساجد الثلاثة ٠

والذى يشد الرحل لزيارة القبور أى قبر كان ، داخل فى هذا النهى ، لكن ينبغى لمن يشد الرحل الى أحد المساجد الثلاثة ان يزور من هناك من الصالحين فان زيارة القبور من غير شد رحل سنة مرغب فيها كما فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا : زوروا القبور فانها تذكركم الموت ، وفيه عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج الى أهل البقيع فيدعو لهم كما جاء ذلك فى الصحيح فهذه هى الزيارة الشرعية وهى أن يكون مقصود الزائر تذكر الآخرة والدعاء للميت والاستغفار له (١) ٠

---

(١) ولكن الاكثرية الساحقة منجهال المسلمين وأدعياء العلم،والعلم منهم برىء كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام ، عكسوا أمر الزيارة ، فبعد أن كانت زيارة القبور مشروعة لأمرين ــ الأول ليتذكر الانسان مصيره الى ما صار اليه صاحب القبر ، وليتعظ وينزجر عما هو فيه من الغى والفساد ، ويتذكر الموت الذى سيفاجئه ولا يدرى متى يكون ، ٠٠ والامر الثانى أن الميت قد انقطع من عمله ويحتاج الى =

وأما ما يتوهمه بعض الناس من أن الزيارة انما شرعت لأجل التبرك بالصالحين وتحرى الاجابة عند قبورهم فهو وهم فاسد مخالف لما شرعه الله ورسوله ، قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : ولم يكن أحد من الصحابة يقصد الدعاء عند قبور الأنبياء ولا قبور غير الانبياء ولا صلى عندها ٠

= الدعاء من الاحياء والاستغفار للميت ، ولكنهم قد قلبوا الوضع فشرعوا يطلبون من الميت ما لا يستطيع أن يفعله وهو حى ، فكيف وهو ميت !! مثل شفاء المرض واعطاء الولد وانزال المطر ، وكم شاهد الناس ما حل بالانبياء وبالعلماء وبالصالحين من المصائب والامراض وجور الملوك ، فما استطاعوا أن يدفعوا عن أنفسهم شيئا ، فكيف اذا ماتوا يستطيعون أن ينفعوا غيرهم ، ولو فرضنا أنهم استغاثوا به أو طلبوا منه ما يستطيع فعله فى الحياة ، ولكنه بعد الممات لا يستطيع أن يفعل شيئا ، قال تعالى (وما يستوى الاحياء ولا الاموات ، ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور) ، (١) وما تقوله الصوفية وبعض المخرفين من أن الارواح الطيبة اذا فارقت الابدان وتجردت من ملابسة الدنيا ، تكون اكمل فى تصرفاتها ، قول باطل لا يؤيده عقل صحيح ولا نقل رجيح ، ان هى الا خرافة صوفية وبدعة شركية ما أنزل الله بها من سلطان ـ سبحانك هذا بهتان عظيم ـ وكم وقع للصحابة من الاختلاف والتنازع فى أمور الدين وفى السياسة ، فما لجأ احد منهم الى قبره صلى الله عليه وسلم ـ يستفسره عما أشكل عليهم واختلفوا فيه ، فاذا كان هذا حال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الرسول عليه الصلاة والسلام فكيف بغيرهم مع الرسول أو مع غيره ، ولكنهم كما قال الله تعالى (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) (١) ٠

(١) ١٧ الكهف ٠

وقد كره العلماء كمالك وغيره أن يقوم الرجل عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم ـ يدعو لنفسه وذكروا أن هذا من البدع التى لم يفعلها السلف ، وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال قبر معروف الترياق المجرب وقول بعضهم فلان يدعى عند قبره وقول بعض الشيوخ ان كان لك حاجة فاستغث بى أو قال استغث عند قبرى ونحو ذلك ، فان هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين واتباعهم ولكن هذه الأمور كلها بدع محدثة فى الاسلام بعد القرون المفضلة وكذلك المساجد المبنية على القبور التى تسمى المشاهد محدثة فى الاسلام والسفر اليها محدث فى الاسلام لم يكن شيء من ذلك فى القرون الثلاثة المفضلة ، بل ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ : أنه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا ، قالت عائشة : رضى الله عنها ـ ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا ، وثبت فى الصحيح عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس : ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فانى أنهاكم عن ذلك ، وقد علم أن عمر لما أجدبوا استسقى بالعباس وقال اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبيك فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبيك فاسقنا فيسقون فلم يذهبوا

الى القبور ولا توسلوا بميت ولا غائب بل توسلوا بالعباس ، وكان توسلهم به(١) توسلا بدعائه كالامام مع المأموم وهذا تعذر بموته • انتهى

قلت : وليت أهل زماننا اقتصروا على البدعة ودعوا الله عند قبور الصالحين ولا أشركوهم فى خالص حق الله وأنت تراهم يسافرون الى القبور من مسيرة أشهر ، وبعضهم يرى ذلك السفر أفضل من الحج الى بيت الله ويفعلون عند تلك القبور ، وفى تلك المشاهد من الشرك والكفر ما تطير منه أفئدة أهل الايمان •

اللهم انا نعوذ بك من الشرك ووسائله والله أعلم •

---

(١) وهنا مسألة مهمة ينبغى أن يفرق بينهما ، ولكل مسألة حكمها

الأولى ـ أن يدعو المسلم الله عند قبر نبى أو صالح يقصد بذلك التبرك وسرعة الاجابة ، فهذه بدعة وذريعة الى الوثنية ولكن لم تبلغ درجة الشرك بالله •

والمسألة الثانية ـ أن يدعو صاحب القبر بأن يطلب منه شفاء مريض أو قدوم غائب أو تفريج هم أو قضاء دين أو يعطيه ولدا أو رزقا أو وظيفة أو زوجة أو نحو ذلك فهذا هو الشرك الاكبر الذى قال الله فيه (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) =

فالشيخ لما رأى الناس وقعوا فى الشرك الأكبر بدعائهم الأنبياء والصالحين ، قال ليتهم اقتصروا على الدعاء عند قبور الصالحين ، يقصد الشيخ أن هذه المسألة أهون من الثانية ، لأن الاولى بدعة والثانية شرك ، ولم يقصد الشيخ أن يحبذ الدعاء عند قبور الانبياء ولا قبور الصالحين ، فتنبه •

المسألة الثالثة

وأما المسألة الثالثة وهى مسألة التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أن يقول القائل اللهم انى أتوسل اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم فهى مسألة مشهورة والكلام فيها معروف عند أهل العلم٠فطائفة من العلماء منعوا منذلك سواء توسل بالنبى صلى الله عليه وسلم أو بغيره وطائفة جوزوا ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم لا بغيره ، واستدل هؤلاء بما روى الترمذى والنسائى أن النبى صلى الله عليه وسلم علم بعض أصحابه أن يدعو فيقول : اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يارسول الله انى أتوسل بك الى ربى فى حاجتى ليقضيها اللهم فشفعه فى ، فاستدلوا بهذا الحديث على جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم ـ فى حياته وبعد مماته ، وقالوا ليس فى التوسل به صلى الله عليه وسلم دعاء للمخلوق والاستغاثة به وانما هو دعاء ولكن فيه بجاهه صلى الله عليه وسلم ، قالوا وهذا مثل قوله فيما رواه ابن ماجه فى دعاء الخارج الى الصلاة اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا فانى لم أخرج أشرا ولا

بطـرا خرجـت اتقـــاء ســـخطك وابتغـــاء مرضاتك أسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى جميعا انه لا يغفر الـذنوب الا أنت ، هذا حاصل ما استدل به المجـوزون للتوسل به صلى الله عليه وسلم (١) ٠

---

(١) ولهم ادلة أخرى ، فصحيحها وهو القليل منها لا يدل على مـا ذهبـوا اليـه مـن جـواز التوسـل بالانبيـاء والصـالحين ولم يقفـوا عنـد حـدود الجـواز ، بـل قـالوا يسن التوسـل بهم وهـذه بـدعة لم يفعلهـا الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم ولا اصحابه ، وأكثر تلك الادلة اما أن يكون موضوعا واما أن يكون ضعيفا ، والضعيف لا يحتج به مثال دليلهم الصحيح ، ولـكن لا يثبت ما زعموا قوله تعالى (ياايها الذين آمنوا اتقـوا الله وابتغوا اليـه الوسيلة) (٢) فالوسيلة هنا كما ذكرها المفسـرون الاجلاء كابن جرير وابن كثير والبغـوى واضرابهم : هى الاعمال الصـالحة فيجـوز للانسان أن يتوسل بأعماله الصـالحة لكى يغفر الله له ذنوبه أو يقضى حاجته ، كما توسل أصـحاب الغار الـذين انطبقت عليهم الصـخرة كما فى البخـارى ومسلم وسـائر السـنن ، فتوسـل أحـدهم ببره لوالديه ، وتوسل الثانى بعفته عـن الزنا بعد أن تمكن من الفعـل ، وتوسل الثالث بتنمية أجر أجيره حتى نمـا وصـار مالا كثيرا وجاءه الاجير بعـد فترة طويلة من الزمن ، فاخذ تلك الاموال كلها ٠

ومثـال الموضـوع ما رواه ، توسلوا بجاهى فان جاهى عنـد الله عظيم ، فان هذا موضوع باتفاق المحدثين ٠ ومثال الضعيف حديث الاعمى ، وقيل صحيح ، وحديث اللهم انى أسـألك بحـق السـائلين عليك ٠٠٠ وغير ذلك ٠

وخلاصة الكلام : أن التوسـل قسمان ـ جائز بل مندوب ، وهو التوسل بالايمان وبأسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، والتوسـل بالاعمال الصالحة ، والممنوع هو التوسل بذوات الاشخاص ولو كانوا أنبياء ومرسلين فضلا عن أن يكونوا أتقياء وصـالحين ، كأن يقـول اللهم انى أسألك بجاه فلان أو بحق فلان ونحو ذلك ٠٠٠ ولكن من =

وأما المانعــون من ذلــك فيقولــون ان صــح الحديث فليس فيه دليل على جـواز التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد مماته وانما فيه جواز ذلك في حيــاته بحضوره ، قالــوا والدليل على صحة ما قلناه أن عمــر بن الــخطاب استســقى بالعباس رضى الله عنهما فقال اللهم انا كنا اذا أجد بنا نتوسل اليك بنبيك فتسقينا ، وانا نتوسل بعم نبيك فاسقنا فيسقون ٠

ولو كان التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد مماته مشروعا لمــا عدل عمر عن النبى صــلى الله عليه وسلم الى العباس هذا ما ذكره العلماء فى هذه المسألة ٠

ونحن وان قلنا بالمنع من التوسل به صلى الله عليه وسلم ـ بهذا اللفظ أو نحوه لما نعتقده من أصحية المنع فنحن مع ذلك لا نشدد فى ذلك على

= محاسن المانعين هو أن كثيرا مــن العوام والجهــلاء بــل وبعض أدعياء العلم لا يفرق بين التوسل والاستغاثة فتراه يستغيث بغير الله ٠ بالانبياء وبالاولياء فى الشــدائد لكشف بلاء نزل بــه أو لحــاجة يريــدها كأن يقــول يــا رســـول الله او يا عــلى بن أبى طــالب أو ياعبد القادر الجيلانى أو يا دسوقى : اشفع لى انصــرنى ٠٠ اشفنى من مرضى أو نحــو ذلك من الالفاظ الشــركية ، ومع ذلك يقول انى توسلت بهم لعدم تمييزه بين التوسـل والاســتغاثة وما وقع العــوام فى الشرك المبين الا مــن بركات أدعيــاء العلم المجوزين لمثــل هــذه الترهات والمبتدعات ، ٠٠٠ هدانا الله واياهم الى سواء السبيل ٠

(٢) ٣٥ المــائدة ٠

من فعله مستدلا بالحديث فضـــلا عن أن نكــفره كما ينسبه الينا من لم يعرف حقيقة ما نحن عليه وكذلك قـــول بعضهم انا نكفـــر الناس بالعمـــوم ونستبيح دماء الناس وأموالهم من غير حجـــة ، وكقول بعضهم انا نمنع من زيارة القبور ونكفر من فعله ونحو هذه الأقاويل التى برأنا الله منها وله الحمد ٠

ونحن لا نكفر الا من كفره الله ورسوله ، ونعوذ بالله من أن نقـــول على الله بلا علـــم فى أســـمائه وصفاته وشرعه وأحكامه ، فان ذلك من أعظـــم الذنوب كما قال تعـــالى (قل انما حـــرم ربى الفواحش ما ظهر منها ومـــا بطن والاثم والبغى بغير الحـــق وان تشـــركوا بالله مـــا لم ينزل بـــه سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون)(١)٠

(١) ٣٣ الاعراف ٠

بيان المذاهب فى كلام الله

واذ ذكرنا مقدمة تطلع القارىء على معلومات جمة عن السلف الصالح ، وعلى معتقدهم ومنهم الحنابلة ـ ونفى ما نسب الى الحنابلة النجديين من الأمور السابقة والى السابقين ومن القول بقدم الجلد والغلاف .

كما تكشف له الافتراءات المنسوبة اليهم ، وتبين حقيقة قولهم فى الصفات ، والكلام صفة من صفاته جل جلاله فلنشرع الآن فى بيان المذاهب فى كلام البارىء سبحانه وتعالى ـ فنقول وبالله التوفيق :

هذه المسألة قد ضل فيها طوائف عديدة ، وحبس الامام أحمد وغيره من أجل أنه امتنع أن يقول أن القرآن مخلوق كما أوذى غيره بسببها من المأمون والمعتصم والواثق أبناء هارون الرشيد الذين تمذهبوا بمذهب المعتزلة ، وهذا بيان المذاهب :

الاول ـ الذى عليه الحنابلة ـ هو ما عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين ـ أن كلام الله غير مخلوق

وأنه تعالى لم يزل متكلما اذا شاء وكيف شاء ومتى شاء ، وأن الكلام صفة له قائمة له بذاته وهو يتكلم بمشيئته وقدرته بحرف وصوت يسمع وأن نوع الكلام قديم ، وان لم يكن الصوت المعين قديما (١) ٠

قال العلامة ابن قدامه ـ رحمه الله ـ وهو من كبار علماء الحنابلة ، قال :

(فصل) ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم يسمعه منه من شاء من خلقه سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة ، وسمعه جبريل عليه السلام ومن أذن له من ملائكته ورسله ، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين فى الآخرة ويكلمونه ويأذن لهم فيزورونه ، قال الله تعالى (وكلم الله موسى تكليما)(٢) وقال سبحانه : (ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى)(٣)وقال سبحانه(منهم من كلم الله)(٤) وقال سبحانه (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب)(٥) وقال سبحانه (فلما أتاها نودى يا موسى انى أنا ربك)(٦)

---

(١) وأما القرآن فيقال : كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ٠

(٢) ١٦٤ النساء ٠
(٣) ١٤٤ الاعراف ٠
(٤) ٢٥٤ البقرة ٠
(٥) الشورى ٠
(٦) ١١ ، ١٢ طـه ٠

وقال (اننى أنا الله لا إله الا أنا فاعبدنى)(١) وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله .

وقال عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ اذا تكلم الله بالوحى سمع صوته أهل السماء . روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وروى عبد الله بن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراة حفاة غرلا (٢) بهما فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان) رواه الأئمة واستشهد به البخارى .

وقال بعد كلام :

(فصل) ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم ، وهو كتاب الله المبين وحبله المتين وصراطه المستقيم وتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلب سيد المرسلين بلسان عربى مبين منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود ، وهو سور محكمات وآيات بينات ، وحروف وكلمات ، من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات ، له أول وآخر وأجزاء وأبعاض متلو بالألسنة ، محفوظ

---

(١) ١٤ طـه .

(٢) غرلا : الغرل جمع الاغرل وهو الاقلف،والغرلة القلفة والبهم ليس معهم شىء وقيل أصحا ، ا . هـ من النهاية .

فى الصــدور ، مســموع بالآذان ، مكتــوب فى المصاحف فيه محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ وخاص وعام وأمر ونهى (لا يأتيــه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)(١) (قــل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتــوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)(٢) ٠

وسبق كلام شيخ الاسلام فى منظومته اللامية وكلامه فى رسالته الواسطية عن كلام الله ٠

فهذه عقائد الحنابلة ، فمن أين جاء فى أقوالهم أن الجلد والغلاف قديمان ، وأن أصــوات القرأ قديمة ، ومن هنا يتبين أن ما نسبه المفترون الى الحنابلة كذب لا أصل له وبهتان عظيم ، وسيأتى زيادة بيان من كلام ابن القيم ــ رحمه الله ــ فى نونيته ٠

قال العلامة السفارينى رحمــه الله وهــو مــن متأخرى الحنابلة فى عقيدته :

والعلم والكلام قــد تعلقـــــا
بكل شىء ياخليــلى مطلقـــــا

---

(١) ٨٨ الاســراء   (٢) المظهير ـ المعين ٠

وان ما جـاء مـع جبريـــل
من محكم القـرآن والتنزيـــل

كلامـه ســبحانه قديـــم
أعيـا الورى بالنص ياعليـــم

وليس فى طوق الورى من أصله
أن يسـتطيعوا سـورة من مثله

---

(١) علق الشيخ عبد الله بابطين على هذا الموضوع ما نصه :
قوله أن مذهب السلف أن كلام الله قديم وكذلك القرآن فيه نظر فان مذهب السـلف كما هو معروف أن كلام الله مما يتعلق بمشـيئته فاذا شاء تكلم ويتكلم متى يشاء كيف يشاء بلا كيف وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فى كتابه التسعينية ص ١٤٣ ما نصه بالحـرف الواحد ـ الوجه الثانى أن أحدا من السلف والأئمة لم يقل أن القرآن قديم وأنه لا يتعلق بمشيئته وقدرته ا٠هـ وقد ذكر فى غالب ظنى أن أول من قال بالقدم عبد الله بن سعيد بن كلاب ولا ريب أن الادلة تدل على أن الله تعالى يتكلم متى يشاء ٠ كيف شاء ٠ وأن القـرآن غير قديم ، ومن ذلك قولـه تعالى (ما ياتيهم من ذكـر من ربهم محدث) وقولـه (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله) ٠

فان الاخبار عن سماع المرأة التى تجادل بلفظ المـاضى دليـل على سبق ذلك للخبر ولا يصح أن يكون قد قال فى الازل قـد سـمع الله قول التى تجادلك مع أنهـا أى المجادلة لم تكن خلقت ويشبه ذلك قوله تعالى (واذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقـاعد للقتـال) فان الاخبـار عن ذلك بلفظ المـاضى دليـل على سبقه للخبر والادلة على ذلك كثيرة ٠ ومن المعـلوم أن الصـفات الكاملة من أعظمهـا أن الله تعالى لا يزال متكلما متى شـاء كيف شاء كمـا هو المعروف من مذهب السلف ولله الحمد والمنـة ولا يلزم من هـذا القـول أن يكون كلامه مخلوقا فان كلامه صـفة من صـفاته قد استعاذ به النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله « أعوذ بكلمات الله التامات من شـر ما خلق » والاستعاذة لا تكون بمخلوق والله أعلم ٠

قال الناظم فى شرحه ناقلا عن شيخ الاسلام أحمد بن تيمية فى شرح رسالة الاصفهانى ما نصـــه قد اتفق ســـلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم بذاته ، وأن كلامه تعالى غيـــر مخلوق ، وأنكروا على الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم فى قولهم أن كلامه تعالى مخلوق خلقـــه فى غيره وأنه كلم موسى بكلام خلقـــه فى الشجرة وكلم جبريـــل بكلام خلقـــه فى الهواء ، واتفق أئمة الســـلف على أن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ واليه يعود · قال ومعنى قولهم منه بدأ أى هو المتكلم به لم يخلقـــه فى غيره كما قالت الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم بأنه بدأ من بعض المخلوقات وأنه سبحانه لم يقم به كلام · قال ولم يرد السلف أنه كلام فارق ذاته فان الكلام وغيره من الصفات لا يفارق الموصوف بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل الى غيره فكيف صفة الخالـــق تفارقه وتنتقل الى غيره ، ولهذا قال سيدنا الامـــام أحمد كلام الله ليس ببائن من خلقه فى بعض الاجســـام · قال شيخ الاســـلام ومعنى قول الســـلف « واليه يعود » ما جـــاء فى

الآثار « ان القــرآن يســرى به حتى لا يبقى فى المصاحف منه حــرف ولا فى القلوب منه آيــة » وما جاءت به الآثــار عن النبى المختار صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين لهم باحســان وغيرهم من أئمة المسلمين كالحديث الذى رواه الامام أحمد فى المســند وكتبه الى المتــوكل فى رسالته التى أرسل بها اليه عن النبى صلى الله عليــه وسلم أنه قال « ما تقــرب العباد الى الله بمثل ما خرج منه »(١) يعنى القــرآن وفى لفظ « بأحب اليه مما خرج منه » .

وقال بعد كلام طويل بعنوان « مذهب السلف فى الكلام » .

وتحريــر مذهب الســلف أن الله تعالى متكلم كما مر ، وأن كلامــه قديم وأن القــرآن كلام الله وأنه قديم ومعانيه (٢) وقد توعد الله جل شــأنه من جعله قول البشر بقوله (انه فكــر وقدر فقتل كيــف قــدر ثــم قتــل كيــف قــدر ثــم نظــر ثــم عبس وبســـر ثــم أدبــر واســكبر فقــال ان هــذا الا ســـحر يؤثــر ان هــذا الا قــول

---

(١) مخ (بافضل مما خرج) .

(٢) بهامش مخ (انكــر شيخ الاســلام رحمه الله وصف القــرآن بالقدم وقال ان هذا لم يقله السلف) .

البشر سأصليه سقر)(١) ومحمد صلى الله عليه وسلم بشر فمن قال انه قول محمد فقد كفر ولا فرق بين أن يقول بشر أو جنى أو ملك فمن جعله قولا لأحد من هؤلاء فقد كفر • وأما قوله تعالى (انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر)(٢) فالمراد أن الرسول بلغه عن مرسله

لا أنه قوله من تلقاء نفسه وهو كلام الله الذى أرسله كما قال (وان أحد من المشركين استجارك فأجر حتى يسمع كلام الله)(٣) فالذى بلغه الرسول هو كلام الله لا كلامه ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس فى المواسم ويقول (ألا رجل يحملنى الى قومه لأبلغ كلام ربى فان قريشا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى) • رواه ، أبو داود وغيره ، والكلام كلام من قاله مبتدئا به لا كلام من قاله مبلغا مؤديا وموسى عليه السلام سمع كلام الله من الله بلا واسطة والمؤمنون يسمعه بعضهم من بعض ، فسماع موسى مطلق بلا واسطة وسماع الناس مقيد بواسطة كما قال تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو

---

(١) من ١٨ ـ ٢٦ المدثر • (٢) ٤٠ الحاقة •

(٣) ٦ التوبة •

يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء)(١) ففرق بين التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى وكلم نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء ، وبيـن التكليم بواسطة الرسول كما كلم سائر الأنبياء بارسال رسول اليهم ٠٠٠ الى أن قال « فمن قال عن القرآن الذى يقرؤه المسلمون ، ليس هو كلام الله ، أو هو كلام غيره ـ فهو ملحد مبتدع ضال ومن قال أن أصوات العباد أو المداد الذى يكتب به القرآن قديم أزلى فهو ملحد مبتدع ضال ، بل هذا القرآن هو كلام الله وهو مثبت فى المصاحف وهو كلام الله مبلغا عنه مسـموعا من القـراء ليس هو مسموعا منه تعالى ، فكلام الله(٢) قديم وصوت العبد مخلوق ٠ (١٠هـ ـ (٣) ٠

---

(١) ٥١ الشورى ٠

(٢) نقدم ما فيه ٠

(٣) من كتاب لوامع الانوار البهية وسـواطع الاسـرار الاثرية لشـرح الدرة المضية فى عقد الفرقة المرضية تأليف الشيخ محمد بن احمد السفارينى الاثرى الحنبلى ٠

كلام الحافظ ابن القيم فى النونية فى رد هذه الفرية مع كلام شارحها

وقال الحافظ ابن القيم بعد أبيات عديدة من النونية ، لزيادة الايضاح والبيان والتأكيد ورفع الالتباس والشبهة ، ولعله كان يقصد الرد على من زعم أن الحنابلة يقولون بقدم صوت القارىء ومداده وكتابته ، فقال رحمه الله :

وتلاوة القرآن أفعال لنا
وكذا الكتابة فهى خط بنان

لكنما المتلو والمكتوب والمحفوظ
قول الواحد الرحمن

والعبد يقرؤه بصوت طيب
وبضده ، فهما له صوتان

وكذاك يكتبه بخط جيد
وبضده فهما له خطان

أصواتنا ، ومدادنا وآداؤنا
والرق ، ثم كتابة القرآن

ولقد أتى فى نظمه من قال قول
الحق والانصاف غير جبان

ان الذى هو فى المصاحف مثبــت
بأنامــل الأشــياخ والشبــان

هو قــول ربى ايــه وحروفه
ومدادنــا والــرق مخلوقــــان

فشــفى وفــرق بين متلو ومصنوع
وذاك حقيقـــــة العرفـــــان

الكل مخلـــــوق وليس كلامــــه
المتلو مخلوقـــا ، هنــا شــيئان

فعليـــك بالتفصــيل والتمييـــز
فالاطــلاق والاجمــال دون بيــان

قــد أفســدا هــذا الوجود وخبطا
الأذهـــان والآراء كل زمـــان

وتــلاوة القـــرآن فى تعريفهـــا
باللام قــد يعنى بها شيئــــان

يعنى بها المتلــو فهو كلامـــــه
هو غيــر مخلــوق كذى الأكـــوان

ويــراد أفعال العبــاد كصوتهـــم
وآدائهـــم ، وكلاهما خلقـــان

فانظر الى كلامه ـ رحمه الله ـ حيث أكد غير مرة أن المــداد والأداة والــرق والكتابــة كلها

مخلوقة ، وأفاد فائـدة جديدة حاثا عليها وهى ـ أنه يجب أن نفـرق بين التلاوة والمتلو ، وبين الكتابة والمكتوب ، وأن لا نحكم حكما اجماليـا مطلقا بغير تفصيل فانه ما أفسد هذا الوجـود ، وأوقـع هذا الشـجار والنزاع بين الطـوائف ، وأضـل العقـول والأفكار ، الا عـدم التفصيل والبيان ، والتحديد لمعانى الألفاظ المجملة التى يقع فىمعانيها احتمالواشتباهوبعضهذهالمعانى يكون صحيحا مرادا وبعضها يكون فاسدا غير مـراد ، فتشـبث طوائف المبتدعـة بتلك المعانى الفاسدة ، وتفسر الألفاظ بها ، فتقع فى الضلال ولهـذا أوصى بمـا أوصى شـيخه بـه مـن قبـل ، مبينـا أن الفســاد كـله انمـا ينشأ عـن الاطــلاق والاجمـال ، ففى المســألة التى معنا لا يجـوز ـ مثلا ـ اطلاق القـول بأن القـرآن مخلـوق أو غيـر مخلـوق ، بـل يجب التفصيل :

فاذا كان المراد بالقرآن نفس ألفاظ القارىء وصوته وآداؤه فذلك ولاشـك مخلوق ، وأما ان كان المـراد به المتلو المؤدى ، فهذا كلام الله غير

مخلوق ، وكذلك لفظ التلاوة ، اذا عــرف باللام كان محتملا لمعنيين ، أن يراد به المتلو ، فيكــون غير مخلوق كهذه الأكوان المخلوقة ، وقد يــراد به أفعال العباد مــن أدائهم وأصواتهــم فهــذا مخلوق وقد اشتبه على كثير من الناس، ولم يهتدوا للفرق بين الأمرين ، ومن أجل ذلك لما سئل الامام أحمد ـ هل لفظى بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق؟ فقال « لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق ·· فأنكر عليه من لم يفهم معنى كلامه نفى الضدين، واهتدى أولوا المعرفة الى سر ذلك النفى وحكمته ، وذلك أن كلمة اللفظ من الكلمات المجملة التى لا يجوز الحكم عليها بنفى أو اثبــات قبــل التفصـــيل ومعرفة المــراد منها ، فانهــا تصــلح أن تكون مصــدرا بمعنى التلفــظ وهى بهذا المعنى فعــل العبد ، وهو مخلوق ، وتصلح أن يراد بها نفس الملفوظ به وهو القرآن ، وهو بهذا المعنى غيــر مخلــوق ·

ولأجــل احتمال المعنيين ، أنكــر الاطلاق فى الاثبــات والنفى قبــل التفصيل والبيــان الذى

يحصل به التمييز بين المعنيين ومعرفة المراد منهما انتهى ·

الثانى ـ أنه مخلوق ، خلقه الله منفصلا عنه ، وهذا قول المعتزلة ·

الثالث ـ أنه معنى واحد قائم بذات الله ، هو الأمر والنهى والخبر والاستخبار ، ان عبر عنه بالعربية كان قرآنا وان عبر عنه بالعبرانية كان توراة ، وهذا قول ابن كلاب ومن وافقه كالأشعرى وغيره ·

الرابع : أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة فى الأزل ، وهذا قول طائفة من أهل الكلام ومن أهل الحديث ·

الخامس ـ أنه حروف وأصوات ، لكن تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلما ، وهذا قول الكرامية وغيرها ·

السادس ـ أن كلامه يرجع الى ما يحدثه من علمه وارادته القائم بذاته ·· وهذا يقول صاحب المعتبر ويميل اليه الرازى فى المطالب العالية ·

السابع ـ أن كلامه يتضمن معنى قائما بذاته هو ما خلقه فى غيره ٠٠ وهذا قول أبى منصور الماتريدى ٠

الثامن ـ أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات ، وبين ما يخلقه فى غيره من الأصوات ٠٠ وهذا قول أبى المعالى ومن تبعه ٠

وبما أن أشهر هذه الأقوال ، هو قول السلف وعليه الحنابلة ، وقول المعتزلة والجهمية وقول الأشاعرةوهذه الاقوالهى التى شحنتبها الكتب ولها حتى الآن نصراء ، ويحصل فيها الجدل والنقاش ، نذكر حجج كل فريق ، وبيان ما هو الصواب منها بطريق الاختصار ، اذ بحث الكلام قد دونه العلماء الأعلام ، وأطال فيه بعضهم اطالة مسهبة ، فلا يمكن استقصاؤه فلذلك نكتفى بما يلى : ـ

حجة السلف على اتصاف الله بالكلام

حجة السلف ومنهم الحنابلة ، على اتصاف الله بالكلام · القرآن ، والسنة واجماع الصحابة والتابعين والعقل ·

أما القرآن: فايات كثيرة يعسر استقصاؤها ولذا نذكر بعضها : ـ

(١) ـ قال تعالى : (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) الآية(١) ·

(٢) ـ قال تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) (٢) ·

(٣) ـ قوله تعالى (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ، وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) (٣) ·

(٤) ـ قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله) (٤) ·

---

(١) ١٤٣ الاعراف · (٢) ٦ التوبة ·
(٣) ٧٥ البقرة · (٤) ٢٥٣ البقرة ·

(٥) ـ قال الله (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما)(١) ٠

وأنظر كيف أكده بالمصدر بقوله (تكليما) رفعا لتوهم عدم الحقيقة ٠

(٦) ـ قوله تعالى (حم تنزيل من الرحمن الرحيم)(٢) ٠

(٧) ـ قوله تعالى (يسن والقرآن الحكيم ، انك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم ، تنزيل العزيز الرحيم)(٣) ٠

ومن السنة : ـ

قوله صلى الله عليه وسلم (ما من عبد الا سيكلمه الله يوم القيامة ، ليس بينه وبينه ترجمان) ٠

روى البيهقى فى الأسماء والصفات ، عن عبد الله بن مسعود قال ٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله عز وجل اذا تكلم بالوحى

---

(١) ١٦٤ النساء ٠ (٢) ١ ، ٢ فصلت ٠

(٣) ١،٢،٣،٤،٥ يسن ٠

سمع أهل السماء صلصلة كجـر السلسلة على الصفا ، فيصـعقون ، فلا يزالون كذلـك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام ، فاذا جاءهم جبريل ، فزع عن قلوبهم ، قال : فيقولون ياجبريل مـاذا قال ربك ؟ قـال : فيقول الحق . قـال فينا دون الحق الحق) رواه أبو داود مرفوعا .

وأما الاجمـاع : ـ

فقد أجمعت الصـحابة والتابعون وتابعوهـم باحسان ـ قبل حدوث أهل الضـلال ـ على أن الله لم يزل متكلما متى شاء وكيف شاء .

وأما البرهان العقلى : ـ

فان العقل يحكم أن التكلم من أوصاف الكمال وضده من أوصاف النقص ، وكل كمال لا يستلزم نقصا بوجه من الوجوه ، فالله أولى أن يوصف به فاذا ثبت أن الـكلام صفة كمـال فى المخلـوق ، فالخالق أولى به ، ومعطى الكمال أحق بالكمال .

فلو نفينا عنه الكلام لكان غيره أكمل ، وكفى بذلك قبحا .

والدليل على أنه من أوصاف الكمال : أن الله وبخ عباد العجل ، وأبان قلة افهامهم ، كما بين بطلان ألوهيــة العجل من حيث أنه لا يتكلم ، ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ، فقال الله (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا)(١) وفى آية أخرى (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا)(٢) ٠

وقال فى وصف المنافقين (صم بكم عمى فهم لا يرجعــون)(٣) ٠

---

(١) ١٤٨ الاعـراف ٠
(٢) ٨٩ طـه ٠
(٣) ١٩ البقرة ٠

شــبهات المعتزلة النقليـة

للمعتزلة شــبهات على قولهــم (ان كلام الله مخلوق ، خلقه منفصلا عنه فى بعض الاجسام) ٠

الاولى ـ قالــوا ، قــال الله (الله خالــق كل شىء)(١) فالقــرآن شىء ، فيكــون داخلا فى عموم (كل) فيكون مخلوقا ٠

والجواب من وجوه :

الاول : ان هذا الاســتدلال عجيب جــدا من هؤلاء ، وبيان ذلك أنهم لا يعترفون ولا يعتقدون أن أفعال العبــاد مخلوقة لله ، فاذا كان العمــوم مرادا من قوله (الله خالق كل شىء)(١) فلماذا أخرجوا أفعال العباد ٠

مع العلم أننا نقول : كلام الله صفة من صفاته به تكون الأشــياء المخلوقــة ، اذ بأمــره تكون المخلوقات ، قال الله تعالى (والشمس والقمــر

---

(١) ٦٢ الزمر ٠

(٢) ٦٢ الزمر ٠

والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر)(١) ٠

ففرق بين الخلق والأمر ، فلو كان الامر مخلوقا ، لكان مخلوقا بأمر آخر ، والأخر بأخر الى ما لا نهاية له ، ويلزم منه التسلسل وهو باطل كما لا يخفى ٠

الثانى : عموم (كل) فى كل موضع بحسبه، ألا ترى قوله تعالى اخبارا عن بلقيس : « وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم » ٠

فان المراد من كل شىء يحتاج اليه الملوك وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام ، وهو من أنواع التخصيص عند أهل الأصول ٠

واذ عرفت ما ذكرنا لك ، فاعلم أن المراد من قوله (الله خالق كل شىء) أنه خالق كل موجود

---

(١) ٥٤ الاعراف ٠

سـوى الله فدخل فى هذا العموم أفعال العباد ، ولم يدخل فيه ألخالـق وصفاته ، والكلام صفة من صفاته ٠

وقول المعتزلة (أن الله خلـق الكلام منفصـلا عنه فى بعض الأجسام) ٠

فيقال فى جوابهم : ان الصفة اذا قامت بمحل عـاد حكمها على ذلك المحل ، فاذا قـام الكلام بمحل ٠ كان هو المتكلم به ٠

كما أن العلم والقدرة اذا قامـا بمحل ، كان العالم القادر ٠

ولو كان كما تقول المعتزلة ، لكان الكلام كلام ذلك الجسم الذى خلقه فيه ، فكانت الشجرة هى القائلة (انى أنا الله رب العالمين)(٢) وتصـور هذا كاف فى بطلانه ٠

الشبهة الثانيـة :

(ما يأتيهـم من ذكـر من ربهـم محـدث الا

---

(١) ٩٢ الزمر ٠ (٢) ٣٠ القصص ٠

استمعوه وهم يلعبون)(١) الآية ·

والجواب : أن المعنى محدث فى النزول ·

الشبهة الثالثة :

قوله تعالى (انا جعلناه قرآنا عربيا)(٢) – ومعنى جعل : خلق ·

والجواب : ما أفسد هذا الاستدلال ، لأن جعل اذا كان متعديا الى مفعول واحد ، يكون بمعنى خلق وكقوله (وجعل الظلمات والنور)(٣) ، وقوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شىء حى)(٤) ·

وأما اذا تعدى الى مفعولين ، فلا يكون بمعنى خلق · كقوله تعالى (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم)(٥) · فهل يقول عاقل : ولا تخلقوا الله عرضة لأيمانكم) ، وقوله (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا)(٦) وكالآية التى استدلوا بها ·

فهل يقول عاقل ، بمعنى جعلتم الله فى هذه الآية ، خلقتم الله ؟ بل جعل هنا بمعنى صير كما هو غير خاف ·

---

(١) ٢ الانبياء ·
(٢) ٣ الزخرف ·
(٣) ١ الانعام ·
(٤) ٣٠ الانبياء ·
(٥) ٢٢٤ البقرة ·
(٦) ٩١ النحل ·

اعتراض المعتزلة على احتجاج أهل السنة وجوابهم لهم

اعترضت المعتزلة على احتجاج أهل السنة بقوله تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم)(١) وسائر الآيات التى فيها لفظ التنزيل مثل قوله (تنزيل من حكيم حميد)(٢) ان هذا نظير انزال المطر ، أو انزال الحديد فليس بمثل هذه الآيات حجة على أن القرآن غير مخلوق ٠

وأجاب أهل السنة : أن انزال المطر مقيد بأنه منزل من السماء ، كما قال الله (وأنزلنا من السماء ماء طهورا)(٣) وفى آية أخرى (من المعصرات) وهى السحاب ٠

وأما انزال القرآن فمذكور بأنه انزال من الله كقوله تعالى (تنزيل من الرحمن الرحيم)(٤) وقال تعالى (انا انزلناه فى ليلة مباركة ، انا كنا منذرين)(٥) ٠

وانزال الحديد والأنعام مطلق ، فكيف يشبه هذا الانزال بهذا الانزال ، فالحديد انما يكون

---

(١) ٢ غافر ٠
(٢) ٤٢ فصلت ٠
(٣) ٤٨ الفرقان ٠
(٤) ٢ فصلت ٠
(٥) ٣ دخان ٠

من المعادن التى فى الجبال ، وهى عالية على الأرض ، وقد قيل : انه كلما كان معدنه أعلى كان حديده أجود ٠

والأنعام تخلق بالتوالد المستلزم انزال الذكور الماء من أصلابها الى أرحام الاناث ، ولهذا قال أنزل ولم يقل نزل ، ومن المعلوم أن الأنعام تعلو فحولها أناثها عند الوطء ، وينزل ماء الفحل من علو الى رحم الأنثى ، وتلقى ولدها عند الولادة من علو الى سفل ، وعلى هذا فيحتمل قوله (وأنزل لكم من الأنعام)(١) وجهين أحدهما : أن تكون (من) لبيان الجنس ٠

الثانى : أن تكون (من) لابتداء الغاية ٠

وهذان الوجهان يحتملان فى قوله تعالى (جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا(١)،(٢) ٠

واعترضوا ثانيا على قول أهل السنة فى احتجاجهم أن الكلام صفة لله لأن الله أضافه الى نفسه حيث قال (وكلم الله موسى تكليما) وقال (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)(٣) ٠

---

(١) ٦ الزمر ٠
(٢) ١١ الشورى ٠
(٣) ٦ التوبة ٠

قالوا فى اعتراضهم : ان الاضافة للتشريف كبيت الله ، وناقة الله ، فلا تقتضى أن تكون صفة · · · وأجاب أهل السنة : أن الاضافة نوعان :

(١) اضافة أعيـان : كالبيت والناقة ، فهذه للتشريف والتنويه لما فيه من الصفات العظيمة ·

(٢) اضافة المعانى : كعلم الله وقدرته وكلامه فهى من اضافة الصفة للموصوف ·

للمعتزلة شبهات عقلية على اتصاف الله بالصفات عموما ، والكلام خصوصا

(١) قالوا ما معناه : من المعلوم الثابت عقلا ونقلا وفطـرة ، أن الله واحد فرد ، قديم أزلى ، وعلى ذلك جميع المسلمين ، فاذا وصفناه بصفات عديدة ، كصفة العلم والسمع والبصر والكلام ، وقلنا كلها قديمة أزلية ، لزم تعدد القدماء ، وقد كفرت النصارى بالتثليث ، فكيف بهذه الصفات العديدة ؟

والجـواب :

أولا : لا ينبغى لمن كان مسلما مؤمنا ، أن ينكـر ما ثبت لله فى القـرآن وفى السـنة الصحيحة ، بمثل هذه التشكيكات القبيحة ، بل عليه الايمان والتسليم ، ويجزم أن عقله قاصر مهما بلغ وعلا وارتقى ، أن يدرك كنه ذاته تعالى أو صفاته .

فاذا كان لا يدرك كنه كثير من المخلوقـات ، كالروح والعقل ، فكيف يمكنـه أن يدرك كنه الله أو صفاته ؟

واذا كان لا يدرك ، فهل ينكر ؟ لا بل يجب أن

يؤمن ويسلم ، لأن الشرائع لا تأتى بما يحيله العقل ، بل بما يدركه أو يحير فيه ٠

وأى عاقل يقول : اذا كنا لا ندرك حقيقة الروح والعقل والكهرباء ، يجب علينا أن ننكرها وثانيا : يلزم تعدد القدماء لو قلنا بتعدد الذوات أما تعدد الصفات لذات واحدة ، فلا يلزم ذلك وليس فيه محذور ٠

(٢) قالوا ما معناه : لو وصفنا الله بالصفات المذكورة ، وبالصفات التى تثبتها السلف ، كصفة الرحمة والغضب والاستواء ، لزم تمثيل الله بخلقه وتشبيهه بهم ، لأن هذه من صفات المخلوقين ٠

فالجواب :

أولا : يفهم من الجواب السابق ٠

ثانيا : معاذ الله أن نقول بالمثلية والتشبيه ، كيف وقد قال الله (ليس كمثله شىء وهو السميع والبصير) فالكلام فى الصفات ، فرع عن الكلام فى الذات ـ كما سبق ـ فكما أن ذاته لا تشبه ذوات المخلوقين ، فكذلك صفاته ٠

ويلزم من قولهم أن القرآن مملوء من تمثيل الله وتشبيهه بخلقه ، لأن القرآن طافح بصفات عديدة

لله يعز استقصاؤها ، ولو كان لقولهم أصل لثبت عن رسول الله وأصحابه والتابعين بأن يؤولوها كما تزعم المعتزلة وسائر المؤولة ، ولا يسع المسلم الصحيح الا ما وسعهم،والبحث فى هذا يطول ، وقد تكلفت كتب أئمة السنة برد هذه الشبه الواهية ، وقد مر بعض ذلك فى أوائل البحث ٠

(٣) فى خصوص الكلام قالت المعتزلة : اذا كانت ذات البارىء بالاتفاق وصفاته ـ على حد تعبيركم أهل السنة ، واحدة لا تتجزأ(١) فمحال أن يكون القرآن كلام الله ، على معنى أنه صفة من صفاته لأنه لو كان كذلك لكان هو وذاته وبقية صفاته شيئا واحدا ، ونحن نرى أن فى القرآن أمرا ونهيا وخبرا واستخبارا ، ووعدا ووعيدا ، فهذه حقائق مختلفة ، وخصائص متباينة ٠

ومن المحال أن يكون الواحد متنوعا الى خصائص مختلفة ـ ا٠هـ٠

والجواب : أن نقول الحمد لله على نعمة العقل والهداية للاسلام ، والعقيدة الصحيحة ،والحمد لله الذى عافانا مما ابتلاهم٠

---

(١) هذه ألفاظ مبتدعة ككلمة الجوهر والعرض ، ولكن ذكرتها مسايرة للمعتزلة والمتكلمين لأننا فى صدد البحث عنهم ٠

يزعم هؤلاء أنهم لا يثقون بالنقل ، ويلجؤون الى العقل ، أو يرجحونه على النقل ، ويقولون : نبنى عقائدنا على القواعد العقلية ، لأنه يسلم بها كل عاقل (١) ولو كان كافرا ·

---

(١) يقال :ليس الامر كما زعموا ،اذ العقول تختلف ،فقدترى بعض العقولحسن شيء ،فى حينأن عقولا أخرى تحكم بقبحه،ولذا لما رجعت الجهمية والمعتزلة ، وسائر الطوائف المنحرفة الى عقولهم وحكموها تفرقوا واختلفوا ، فالمعتزلة اكثر من عشرين فرقة ، والشيعة كذلك ، والحاصل أن الأمة الاسلامية تفرقت الى ثلاث وسبعين فرقة ·

ولنمثل : اتفقت المعتزلة والجهمية فى تحكيم عقولهم ، فى نفى الكلام ونفى الصفات عن الله ، وبعد هذا الاتفاق اختلفوا فى أفعال العباد ·

فقالت الجهمية « ان العبد مجبور لا فعل لــه البتة ، بل يخلق الله جميــع أفعاله ، فاستنتجوا بعقولهم بما أن الله هو الخــالق الحقيقى وبعض الآيات تسند العقل اليــه ، فحكموا بأنه مجبور ·

وقالت المعتزلة « انه حر مختار ، يفعل ما يشاء بغير ارادة الله ، لانه يقبح فى العقل أن يعــذب العبــد على الفعل المنهى عنه ، وهــو خالقه وخالق فعله ·

فلو رجعوا الى الكتــاب والســنة وحكموا الوحيين ، واستضاءوا بنور الكتاب والســنة أولا ، وبالعقل الصــحيح ثانيــا لعــرفوا أنهم مخطئون جميعا ، وعرفوا أن الحق ما عليه أهل السنة والجماعة ـ من أن الله هو الخالق لكل شيء من الاعيان والاوصاف والافعال وغيرها ـ

وأن مشيئته تعالى عامة شاملة لجميع الكائنات ، فلا يقع منهــا شيء الا بتلك المشيئة ·

وأن خلقه ـ سبحانه ـ الاشياء بمشيئته ، انما يكون وفقا لمــا علمه منها بعلمه الازلى ، ولمــا كتبه وقدره فى اللوح المحفوظ ·

وأن للعباد قدرة وارادة ، تقع بهما أفعالهم وأنهم الفاعلون حقيقة لهذه الافعال بمحض اختيارهم، وأنهم لهذا يستحقون عليها الجزاء ، أما بالمدح والمثوبة ، واما بالذم والعقوبة ·

وأن نسبة هذه الافعال الى العباد فعلا لا ينافى نســبتها الى الله ايجادا وخلقا ، لانه هو الخالق لجميع الاسباب التى وقعت بها ·

هكـذا زعموا ...

ونحن نقول : أى عقل هذا ، يحكم أن الكلام اذا كان أمرا ونهيا ، ووعدا ووعيدا ، فانه ينافى الوحدة لأنه يحصل تغيير فى ذات المتكلم . كما يفهم من كلامهم .

ونقول ثانيا ـ أن الله ـ جل جلاله ـ واحد فى ذاتــه وفى صفاته ، والكلام صفة من صفاته ، والامر والنهى والوعد والوعيد من أنواع الكلام والتنوع فى الكلام لا فى ذاته ، فأى استحالة فى هذا ؟ وأين المحذور الذى زعموه ؟ .

والمتكلم البشرى اذا نوع كلامه من خبر الى أمر الى نهى ، فهل يقال انها خصائص مختلفة ؟ وأنها تؤثر على ذات الانسان ؟ والله أعلى من أن تضرب له الامثال ، ولكن له المثل الأعلى والصفات العـلى .

(٤) قالوا ـ اذا كان الكلام أزليا ، وهو صفة من صفاته ، ترتبت على ذلك أمــور مستحيلة ، منها : أن الأمر لا قيمة له ما لم يصادف مأمورا الا اذا كان هناك مأمورون بالصلاة ، ولا كتب عليكم الصـيام الا اذا كان هنـاك مأمــورون بالصيام .

ومن المسـلم به ، أن فى الأزل لم يكن هنـاك

مأمـــور بالصلاة والصيام ، ومحـــال أن يكون المأمور معدوما ·

ثانيا : يلزم من ذلك أن يكون الكلام من غيـــر مكلم وهذا من المستحيلات ·

ثالثـــا : الخطاب مع موسى ، غير الخطاب مع محمد ، ومناهــج الكلامين مع الرســولين مختلفة · ويستحيل أن يكون · معنى واحدا ، هو فى نفســـه كلام مع شخص على معان ومناهج ، وكلام مع شخص آخر ، على معان ومناهج أخرى ثم يكون الكلامان شيئا واحدا ومعنى واحدا ·

الجــواب :

أن هذه الأمور التى ذكرتها المعتزلة ، من أنها تترتب على الكلام الأزلى ، وهو صفة من صفاته أو نقول ـ هذه الشبهات التى ذكروها ترد على الأشاعرة القائلين بالكلام النفسى كما ســيأتى مذهبهم ـ لا علينا معشر السلفيين ·

لأننا نقول « كلام الله من حيث هو صفة له ، وهو من صفات الذات والفعل »·

وأما خطابه لموسى بقوله (انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى)(١) ، ولنبينا محمد

---

(١) ١٤٤ الاعــراف ·

صلى الله عليه وسلم بقوله (ياأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك)(١) .. فقـد حصل كل واحد من الخطابين فى وقته لا فى الأزل .

وكذلك الأوامر والنواهى القرآنيــة ، حصلت بعد ما أرسل الله الرسول ، وآمن بعض الناس لا فى الأزل ، الا أمر تبليغه الرســالة فقد حصل قبل أن يؤمن أحد .

(٥) قالوا « قال الله (وان أحد من المشــركين استجارك فأجــره حتى يسمع كلام الله) (١) . والمسموع حادث لأنه لا يكون الا حرفا وصوتا .

والجــواب :

نحن قائلون بأن الله يتكلم بحــرف وصــوت خلافا للأشاعرة وغيرهم .

ودليلنــا على الحــرف ما ورد فى الحــديث الصحيــح ، عن عبد الله بن مســعود عن النبى صلى الله عليه وسلم (من قرأ حرفــا من كتاب الله ، فله عشر حسنات) .

وأما الصوت ـ فقد ورد فى الحديث الصحيح (أن الله ينادى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان) .

---

(١) ٦٧ المــائدة .

(٢) ٦ التــوبة .

والنـــداء لا يكون الا بصوت ، ولكن لا يماثل صوت المخلوقين ·

فى شـــرح البخارى ـ ومن نفى الصـــوت ، يلزمه أن الله تعالى لم يسمع أحدا من ملائكتـــه ولا رســـله كلامه ، بل ألهمهم اياه الهاما ، قـــال « وحاصل الاحتجاج للنفى ، الرجوع الى القياس على أصوات المخلوقين ، لأنها التى عهدت ذات مخارج ، كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشـــعة ، ولئن سلم فيمنع القياس المذكور ، لأن صفة الخالق لا تقاس على صفة المخلوقين ·

وحيث ثبت ذكـــر الصـــوت بهذه الأحـــاديث الصحيحة ، وجب الايمان به ·

وقال ابن حجـــر أيضا فى موضـــع آخـــر من شرح البخارى « قوله صلى الله عليه وسلم (ثم يناديهم بصوت يسمعه من قرب ، كما يسمعه من بعد) حمله بعض الأئمة على مجـــاز ، يأمـــر من ينادى فاستتبعه بعض من أثبت الصوت، لأن فى قوله (يسمعه من بعد) اشارة الى أنه ليس من المخلوقات ، لأنـــه لم يعهد مثل هذا عنهم ، وبأن الملائكة اذا سمعوا صعقوا ، واذا سمع بعضها بعضا لم يصعقوا ·

قال « فعلى هذا صوته صفة من صفات ذاته ليس يشبه صوت غيره ، اذ ليس يوجد شيء من صفات المخلوقين ·

قال « وهكذا قـرره المصنف ـ يعنى الامـام البخارى ـ فى كتاب خلق أفعـال العباد ، اهـ ·

فان قيل أن هذه أحاديث آحاد لا تفيد الا الظن والعقائد ينبغى أن تبنى على العلم والقطع ·

الجـواب :

أن هذا القول اخترعه المتكلمون من المعتزلة واغتر به بعض السنة ، وهو قول باطل فيه هدم لكثير من العقائد والشرائع ، ومن المستحسن أن نذكر بعض الأدلة على قبول ذلك ·

بعض الأدلة على قبول خبــر الآحاد

الأول : أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرسل الرسل الى ملوك العرب وغيرهم ، يدعوهم الى الاسلام. ومعلوم أن المرسل من الرسول كان رجلا واحدا أو اثنين ومعه كتاب ، ولم تكن تلك الرسالة بدرجة التواتر ومع ذلك أسلم من أسلم ورأى أن الحجة قد قامت على من أبى ، بواسطة ارســـال ذلك الرســـول ، ولو لم تقم الحجة على المرسل اليهم بارسـال الرسول أو الرسولين ، ويجب عليهم أن يقبلوا خبــر رســول الرســول ويسلموا . لما أرسل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسله الى كسرى وقيصر ، وملك اليمامة وابنى الجلندى ملك عمان وغيرهم .

كما أنه أرســل معاذا الى اليمن وقال « انك تأتى قوما أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم اليه شــهادة أن لا اله الا الله ، وفى رواية ـ الى أن يوحدوا الله ، فان هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افتــرض عليهم خمس صلوات فى كل يــوم وليلة ـ الحديث أخرجه البخارى ومسلم .

الثانى : أن المسلمين لما أخبرهم العدل الواحد وهم بقبــاء فى صــلاة الصبح ، أن القبلة قــد

حولت الى الكعبة قبلوا خبره وتركوا الجهة التى كانوا عليها ، واستداروا الى القبلة ، ولم ينكر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بل شكروا على ذلك ، وكانوا على أمر مقطوع به من القبلة الأولى ٠

فلولا حصول العلم لهم بخبر الواحد ، لم يتركوا المقطوع به ، المعلوم ٠ لخبر لا يفيد العلم وغاية ما يقال فيه أنه خبر اقترن به قرينة ، وكثير منهم يقول « لا يفيد العلم بقرينة ولا غيرها وهذا فى غاية المكابرة » ٠

ومعلوم أن قرينة تلقى الأمة له بالقبول وروايته قرنا بعد قرن ، من غير نكير ، من أقوى القرائن وأظهرها ٠ فبأى قرينة فرضتها ، كانت أقوى منها ٠

والثالث : قوله (ولا تقف ما ليس لك به علم) الاسراء ـ٣٦ ـ أى لا تتبعه ولا تعمل به ، ولم يزل المسلمون من عهد الصحابة يقفون أخبار الآحاد ويعملون بها ، ويثبتون لله تعالى بها الصفات ، فلو كانت لا تفيد علما لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الاسلام كلهم قد قفوا ما ليس لهم به علم ٠

الرابع : قوله تعالى (ياأيها الرسول بلغ ما

أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته)(١) وقال تعالى (وما على الرسول الا البلاغ المبين)(٢) ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم (بلغوا عنى ولو آية) وقال لأصحابه فى الجمع الاعظم يوم عرفة (أنتم مسئولون عنى فماذا أنتم قائلون) ، قالوا « نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت .

ومعلوم أن البلاغ هو الذى تقوم به الحجة على المبلغ ، ويحصل به العلم ، ولو كان خبر الواحد لا يحصل به العلم لم يقع به التبليغ الذى تقوم به حجة الله على العباد ،فان الحجة انما تقوم بما يحصل به العلم .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه ، فتقوم الحجة على من بلغه .

وكذلك قامت حجته علينا بما بلغنا العدول الثقات من أقواله وأفعاله وسنته ، ولو لم يفد العلم لم تقم علينا بذلك حجة ، ولا على من بلغه واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة ، أو دون عدد التواتر ، وهذا من أبطل الباطل .

(١ ، ٢) سورة المائدة .

فيلزم من قال ان اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لا تفيد العلم أحد أمرين :

اما أن يقول أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبلغ غير القرآن ، وما رواه عنه عدد التواتر وما سوى ذلك لم تقم به حجة ولا تبليغ ٠

واما أن يقول « أن الحجة والبلاغ حاصلان بما لا يوجب علما ، ولا يقتضى عملا ، واذا بطل هذان الأمران ، بطل القول بأن أخباره صلى الله عليه وسلم ـ التى رواها الثقات العدول الحفاظ وتلقتها الأمة بالقبول ، لا تفيد علما وهذا أمر ظاهر لا خفاء به ٠

الخامس : قوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)(١) ٠ فأمر من لم يعلم أن يسأل أهل الذكر وهم أولو الكتاب والعلم ،ولولا أن اخبارهم تفيد العلم ٠ لم يأمر بسؤال من لا يفيد خبره علما ، وهو سبحانه لم يقل سلوا عدد التواتر بل أمر بسؤال أهل الذكر مطلقا ، فلو كان واحدا لكان سؤاله وجوابه كافيا ٠

السادس : ان هؤلاء المنكرين لافادة أخبار النبى صلى الله عليه وسلم ـ العلم ، يشهدون شهادة جازمة قاطعة على أئمتهم بمذاهبهم

---

(١) ٤٣ النحل ٠

وأقوالهم أنهم قالوا ، ولو قيل لهم أنها لم تصح عنهم لأنكروا ذلك غاية الانكار وتعجبوا من جهل قائله ، ومعلوم أن تلك المذاهب لم يروها عنهم الا الواحد أو الاثنان والثلاثة ونحوهم لم يروها عنهم عدد التواتر ، وهذا معلوم يقينا .

فكيف حصل لهم العلم الضرورى أو المقارب للضرورى بأن أئمتهم ومن قلدوهم دينهم أفتوا بكذا وذهبوا الى كذا ، ولم يحصل لهم العلم بما أخبر به أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وسائر الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا بما رواه عنهم التابعون وشاع فى الأمة وذاع ، وتعددت طرقه وتنوعت ، وكان حرصه عليه أعظم بكثير من حرص أولئك على متبوعيهم ... ان هذا لهو العجب العجاب .

وهذا وان لم يكن نفسه دليلا لكنه يلزمهم أحد أمرين : أما أن يقولوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتاواه وأقضيته تفيد العلم ، واما أن يقولوا أنهم لا علم لهم بصحة شىء مما نقل عن أئمتهم وأن النقول عنهم لا تفيد علما ... واما أن يكون ذلك مفيدا للعلم بصحته عن أئمتهم دون المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من أبين الباطل .

السابع : قوله تعالى (فليحذر الذين يخالفون

عن أمره أن تصـيبهم فتنة أو يصـيبهم عـذاب أليم)(١) وهذا يعم كل مخالف بلغه أمره صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ،ولو كان ما بلغه لم يفده علما لما كان متعرضا بمخالفة ما لا يفيد علما للفتنة والعذاب الأليم ، فان هذا انما يكون بعد قيـام الحجـة القاطعـة التى لا يبقى معها لمخالف أمره عذر ٠

الثامن : ان التفريـق بين العقيدة والأحكام العملية ، وايجاب الأخذ بحديث الآحاد فى هذه دون تلك ، انما بنى على أسـاس أن العقيدة لا يقتـرن معها عمل ، والاحكام العملية لا يقتـرن معها عقيدة ، وكلا الأمرين باطل ٠

قـال بعض المحققين : المطلوب فى المسـائل العمليـة أمـران ، العلم والعمل ، والمطلوب فى العلميات العلم والعمل أيضا ، وهو حب القلب وبغضه ، حبه للحق الذى دلت عليه وتضمنته ، وبغضـه للباطـل الذى يخالفهـا فليس العمل مقصورا على عمل الجوارح ، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح ، وأعمال الجوارح تبـع ، فكل مسـألة علميـة فانـه يتبعها ايمان القلب وتصديقه وحبه ، وذلك عمل بل هو أصل العمل ،

---

(١) ٦٣ النـور ٠

وهذا مما غفل عنه كثير من المتكلمين فى مسائل الايمان ، حيث ظنوا أنه مجرد التصديق دون الاعمال ، وهذا من أقبح الغلط وأعظمه · فان كثيرا من الكفار كانوا جازمين بصدق النبى صلى الله عليه وسلم غير شاكين فيه ، غير أنه لم يقترن بذلك التصديق ، عمل القلب من حب ما جاء به والرضا به وارادته ، والموالاة له والمعاداة عليه · فلا تهمل هذا الموضوع فانه مهم جدا ، به تعرف حقيقة الايمان ، فالمسائل العلمية عملية ، والمسائل العملية علمية ، فان الشارع لم يكتف من المكلفين فى العمليات بمجرد العمل دون العلم ، ولا فى العلميات بمجرد العلم دون العمل ·

ومما يوضح لك أنه لابد من اقتران العقيدة فى العمليات أيضا أو الاحكام أنه لو افترض أن رجلا يغتسل أو يتوضأ للنظافة أو يصلى تريضا أو يصوم تطبيبا ، أو يحج سياحة ، لا يفعل ذلك معتقدا أن الله تبارك وتعالى أوجبه عليه وتعبده به لما أفاده ذلك شيئا ، كما لا يفيده معرفة القلب اذا لم تقترن بعمل القلب الذى هو التصديق كما تقدم ·

فاذن كل حكم شرعى عملى يقترن به عقيدة لابد وأن ترجع الى الايمان بأمر غيبى لا يعلمه

الا الله تعالى ،ولولا أنه أخبرنا فى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ـ لما وجب التصديق به والعمل به . ولذلك لم يجز لأحد أن يحرم أو يحلل بدون حجة من كتاب أو سنة ، قال الله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون)(١) فأفادت هذه الآية الكريمة أن التحريم والتحليل بدون اذن منه كذب على الله تعالى وافتراء عليه ، فاذا كنا متفقين على جواز التحليل والتحريم بحديث الآحاد ، وأننا به ننجو من التقول على الله ، فكذلك يجوز ايجاب العقيدة بحديث الآحاد ، ولا فرق ، ومن ادعى الفرق فعليه البرهان من كتاب الله وسنة رسوله ، ودون ذلك خرط القتاد .

التاسع : أن القائلين بهذه العقيدة الباطلة ، لو قيل لهم أن العكس هو الصواب، لما استطاعوا رده ، فانه من الممكن أن يقال : لما كان كل من العقيدة والعمل يتضمن أحدهما الآخر ، فالعقيدة يقترن معها عمل والعمل يقترن معه عقيدة على ما سبق بيانه آنفا ، ولكن بينهما فرقا واضحا من حيث أن الاول انما هو متعلق بشخص المؤمن ولا ارتباط له بالمجتمع ، بخلاف العمل فانه

---

(١) ١١٦ النحل .

مرتبط بالمجتمع الذى يحيا فيه المؤمن ارتباطا وثيقا ، فيه تستحل الفروج المحرمة فى الأصل ، وتستباح الاموال والنفوس ، فالأمور العملية من هذه الوجهة أخطر من الامور الاعتقادية ، ولنضرب على ذلك مثلا موضحا : رجل يعتقد بأن سؤال الملكين فى القبر أو ضغطة القبر حق بناء على حديث آحاد ، ومات على ذلك ، وأخر يعتقد استباحة شرب قليل من النبيذ المسكر كثيره ، أو يستحل التحليل ، ويقول بإباحته بعض المذاهب لدليل بدا لهم طبعا ، ولكنه ظنى طبعا ومات على هذا ، والواقع أن كلا من الرجلين كان مخطئا بشهادة السنة الصحيحة ، فأيهما كان حاله أخطر على المجتمع ؟ الذى كان واهما فى اعتقاده أم الآخر الذى كان واهما فى استباحته الفروج والشراب المحرمين ؟ . . ولذلك فلو قال قائل : ان الحرام والحلال لا يثبتان بخبر الآحاد بل لابد فيهما من آية قطعية الدلالة ، أو حديث متواتر قطعى الدلالة أيضا ، لم يجد المتكلمون وأتباعهم عن ذلك جوابا .

أما نحن فلو كان لنا أن نحكم عقولنا فى مثل هذا الأمر ونشرع لها ما لم يأذن به الله ، كما فعل المتكلمون حين قالوا بهذا القول الباطل ـ لقلنا بنقيضه تماما ، لأنه أقرب الى المنطق السليم من

قولهم ، ولكن حاشـا أن نقـول بـه أو بنقيضه ، اذا لكل شرع ، فلا نفرق بين ما سوى الله تبارك وتعالى ، ولا نسوى بين ما فرق ، بل نؤمن بكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح الخبر به عنه آحادا أو تواترا ، اعتقادا أو عملا والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ٠

العاشـر : ان خبـر العدل الواحـد المتلقى بالقبول لو لم يفد العلم لم تجز الشهادة على الله ورسوله بمضمونه ، ومن المعلوم المتيقن أن الأمة من عهد الصحابة الى الآن لم تزل تشـهد على الله وعلى رسوله بمضمون هذه الاخبار جازمين بالشـهادة فى تصانيفهم وخطابهم ، فيقولـون شرع الله كذا وكذا على لسان رسوله صلى الله عليه وسـلم ، فلو لم يكونوا عالميـن بصدق تلك الاخبار جازمين بها لكانوا قد شهدوا بغير علم ، وكانت شـهادة زور ، وقولا على الله ورسـوله بغير علم ، ولعمـر الله هذا حقيقة قولهم ، وهم أولى بشـهادة الزور مـن سـادات الأمـة وعلمائها (١) ٠

---

(١) من السـادس الى العاشـر ـ من أصل الاعتقاد للشيخ عمر سليمان الأشـقر ٠

والحمد لله على ما من علينـــا من اكمال هذا الجواب المتضمن لاجابة السائل ، وزيادة مسائل مفيدة تهم القارئين والباحثين ، وأحســب أنـــه أروى الغليل وأشفى العليل ·

وقد تم تحريره وتسطيره فى اليوم الثامن من شـــهر جمادى الآخرة عــام اربعمائة والف مــن الـهجرة ·

المؤلف

أحمد بن حجر آل بوطامى آل بن على

قاضي المحكمة الشرعية الأولى

بـــدولـــة قطـــر

شوال ١٤٠٠هـ الموافق اغسطس ١٩٨٠م

فهـــرس

صفحة

خطبـة الكتـاب :

صفحة

صفحة